الافتتاحية

هل يفعلها السوريون؟

بعد مضي أكثر من ست سنوات على نشوب الحرب التي أشعلها النظام في سورية على الشعب السوري، ومن خلفه إيران وحلفائها ومرتزقتها، يقف السوريون اليوم على مشارف انتهاء هذه الحرب والبدء بترتيب نتائجها.

لم يعد للمعارك العسكرية، ولا لقذائف المدافع والطائرات والبراميل، الكثير من الجدوى، خصوصاً وأنّ من يقود فصول هذه الحرب سراً أو علناً؛ قد وصل إلى القناعة: إنّ حصاد الحقل السوري قد حان، وإنّ العمل العسكري يجب أن يتوقف، وإنّ رسم ملامح الصيغة السياسية المرضية لهم، قد أصبح ضرورة ملحّة عند كل هؤلاء المتحكّمين بهذه الحرب.

منذ أن بدأت إيران حربها على الشعب السوري، ثم لحقتها أطراف دولية أخرى محاولة تحسين شروط انخراطها في هذه الحرب؛ فصنّعت ميلشياتها، ودعمت من يتوافق مع مصالحها، وخنقت من لا يستجيب لها.

ومنذ أن أصبحت الأطراف كلها، تلك التي تدّعي تمثيل السوريين، أدوات بأيدي الآخرين؛ فقد السوريون نهائياً القدرة على الإمساك بأي أمر يخص مستقبلهم ومستقبل وطنهم.

وإذا كانت كل الأطراف السورية التي فرضها الآخــرون كممثلين عن الشعب السوري، سواء أكانوا في جهة النظام أم كانوا في جهة المعارضة، قد فشلت في تمثيل السوريين، بل إنها قد أهدرت حقوقهم، وساهمت في زيادة معاناتهم وآلامهم.

بعد هذا: هل يمكن للسوريين اليوم أن يبدؤوا السعي إلى استعادة قرارهم الوطني، فاستعادة بلدهم وحقوقهم التي يتقاسمها الآخرون بكل صفاقة وفجور؟.

إنّ المتشائمين- الذين هم أكثر من الهمّ على القلب- يصوّرون الأمر كأنه المستحيل، وقد لا يختلف المتفائلون في الكثير عنهم، ماداموا يردّدون: إنّ الأمر في غاية الصعوبة، هذا إن لم يكن مستحيلاً.

نعم، قد تكون الوقائع المريرة التي عايشها وعاشها السوريون، ولا يزالون، هي السبب الذي يكمن وراء كل هذا اليأس؛ فهم لم يهدؤوا منذ سنوات، ولم يعرفوا خلالها إلا المآسي والموت والدمار والتشريد؛ ولهذا فهم بأمسّ الحاجة إلى أن يهدؤوا قليلاً؛ لكي يستوعبوا ويدركوا ما حدث؛ ولكي يتبصّروا طريق خطواتهم القادمة.

وأنا أعتقد: إنّ السوريين اليوم قادرون على الانتقال من مرحلة العجز والانتظار ودفع ثمن مصالح الآخرين، إلى مرحلة التنبّه فالتحفّز والاستنفار والعمل لإنقاذ بلدهم.

لكن، إنّ هذا الانتقال لن يكون ممكناً إلا بالمراجعة والتفهّم العميق لهذه السنوات الست الأخيرة، وبالتشخيص الدقيق الموضوعي لمسارها ولأطرافها وتفاصيلها ومسؤولياتها، وهذا يحتاج بالضرورة لجرأة ووعي ومسؤولية بالغة، يجب أن تتصدى لها وتحملها نخب اقتصادية وسياسية وثقافية ودينية بكل المسؤولية والجرأة.

نعم، نحن بأمسّ الحاجة إلى مجموعة عمل وطنية تتقدّم إلى موقع الفعل والقرار؛ لتدافع عن سوريا الوطن وعـن سوريا التي هي للسوريين وعن مستقبل هذا الوطن ومستقبل أجياله.

إنها مسؤولية كبيرة تحتاج إلى سوريين استثنائيين بكل معنى الكلمة، سوريون يرفعون سوريا فوق حسابات الأحـزاب والطوائف والقوميات، سوريون يضعون سوريا بمصالحها هي وحقوق أبنائها هي المعيار والميزان في التعامل مع الآخرين، سوريون يدركون عمق الجراح النازفة في جسد سوريا، ويخلصون في تشخيص حاجاتها وطرق علاجها.

لقد أسقطت السنوات الست الأخيرة الكثير من الأوهام والأفكار والشعارات، ولقد عرّت الجميع أو كادت الأمر الذي يوجب على السوريين، الذين امتُحنوا وامتحَنوا الجميع، أن لا يعودوا عرضة للخديعة والمتاجرة كما حدث لهم سابقاً.

لقد آن الأوان؛ لكي ينتقل السوريون من موقع المنفعل والأداة بأيدي الآخرين إلى موقع الفاعل المتحكّم القابض على مصيره، والمحدّد لمستقبل وطنه.

فهل يفعلها السوريون؟ هل ستفعلها النخب السورية قبل فوات الأوان ... وهل ستتقدّم مسؤوليتهم التاريخية والوطنية على حساباتهم الضيقة الأخرى؛ لتبدأ رحلة استعادة الوطن من أيدي من اختطفوه عقوداً طويلة، ومن أيدي من تاجروا به لحساباتهم الخاصة ؟؟.

لن يغفر أحدٌ لنا جميعاً؛ إن أضعنا الفرصة الأخيرة.

إنه النفير قبل فوات الأوان...

فهل سيفعلها السوريون؟.

بسام يوسف

نهاية داعش.. بداية لتحضير حلٍّ أم لصراعٍ حاسم؟
لؤي حاج بكري

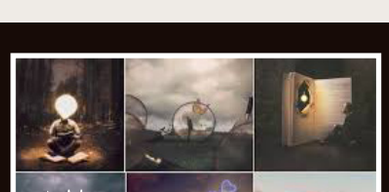
عصر الملاحم ... ذاكرة الشرق المثقوبة
عبد القادر أحمد

الهجرة إلى ألمانيا .... قراءة معاصرة
كفاح زعتري

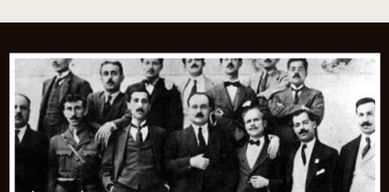
سعد الله الجابري ... مهندس الاستقلال
خالد علوش

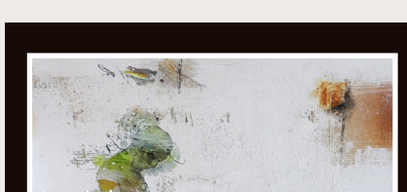
تراجيديا المثقف
علي الأعرج

(في السياسة)

نهاية داعش..
بداية لتحضير حلٍّ أم لصراعٍ حاسم؟

ما نشهده اليوم من انحسار لدولة داعش واقتراب لنهايتها، وبغض النظر عن أسباب نشوئها والأجندات التي تعمل من أجلها، فإن تلك الدولة الماضية إلى الزوال، تدفع بكافة الدول المعنية بالشأن السوري للبحث في مرحلة ما بعد داعش، وإذا كانت الحرب على هذه الدولة في العراق، تقوم على التعاون بين الدولتين العراقية والأمريكية، وبمشاركة إيرانية ميدانية عبر بوابة الحشد الشعبي شبه الحكومي، فإنها تتخذ على الأراضي السورية منحىً مختلفاً، بسعي الولايات المتحدة للسيطرة على مناطق مختلفة ، بينما يسعى الإيرانيون وعبر نظام الأسد لتوسيع سيطرتهم وباتجاه الحدود العراقية، بالشكل الذي يمثل صراعاً ومباشراً في بعض الأحيان بين هاتين الجهتين، وبخاصة في مناطق انتشار داعش التي تتعدى الأربعين بالمئة من مساحة البلاد، بعد أن سيطرت قوات الحماية الكردية المدعومة أمريكيا شمالاً على ما يقرب من عشرين بالمئة، في حين يجري الحديث في باقي المناطق، عن رسم خطوط التماس مع سورية المفيدة ، لتصبح البلاد مجزأة لمناطق منفصلة وخاضعة للقوى الإقليمية والدولية المشاركة في الحرب، تحت شعارات التهدئة وخفض التوتر والوصول لوقف اطلاق نار شامل، قبل دخولهم في مشاريع الحل النهائي، سواءً لجهة الحفاظ على وحدة الدولة (مركزية أم فيدرالية)، أو لجهة التسليم بتقسيمها إلى دويلات وفقاً للمكونات الاجتماعية والارتباطات الإقليمية، فهل يمكن السير نحو ذلك الحل، أم أن ما يحدث ليس سوى مقدمة لصراع حاسم بعيداً عن الحلول السياسية .

لا شك بأن ما حدث مؤخراً في لقاء أستانة الخامس، قد بدأ بفرض نفسه على مجمل التطورات اللاحقة، فاللقاء الذي فشل في تحقيق ما كان يصبو إليه، من تطبيق جدي للتهدئة وترسيم لمناطق خفض التصعيد، ومن تحديد لطبيعة القوات اللازمة للانتشار في تلك المناطق، كقوات ضامنة لتحقيق التهدئة، قد فشل وكما أشار الكثيرون نتيجة للعرقلة الإيرانية وبالدرجة الأولى، الأمر الذي دفع بالإدارة الروسية لإعلان الاتفاق مع الامريكان حول الهدنة في جنوب غربي البلاد، بعد التحضيرات المطولة الجارية بمشاركة أردنية والتي لم تنته بعد، وللموافقة على الشرط الأمريكي بإبعاد الإيرانيين والميليشيات التابعة لهم عن تلك المناطق، وربما كبديل عن اتفاقات أستانة، في حال توصل الدولتين العظميتين إلى مزيد من اتفاقات التهدئة وفي مناطق أخرى، لكن مواقف نظام الأسد من الاتفاقات القائمة، بما فيها الموقعة في أستانة، إلى جانب الموقف الإيراني القائم على تحقيق انتشار هذا النظام على أوسع مساحة ممكنة، دون النظر إلى مواقف الدول الأخرى، ودون أي اكتراث بحجم المآسي التي يسببها للشعب السوري، معتبراً وجوده ووجود الميلشيات الطائفية التابعة له مع القوات الروسية شرعياً، ومطالباً بخروج بقية القوات القادمة من الخارج، قد يدفع لتحركات عسكرية جديدة، ولنتائج معاكسة لما ترمي إليه هذه الاتفاقات.

في هذه الأجواء المتناقضة، بين السعي للسير نحو مخرج ما، وبين التمسك بعودة نظام مجرم فاقد للشرعية، يمثل التغاضي عن تقديم رموزه للمحاكم الجنائية وصمة عار في جبين الإنسانية، جاء انعقاد جولة حنيف الخامسة، للبحث وعبر الوسيط الأممي، في السلال الأربعة المتعلقة بمكافحة الإرهاب والانتقال السياسي والدستور والانتخابات، لكن تعنت وفد النظام المتكرر وفي كل جولة، وتعطيله لأي عملية تفاوضية ولو كانت غير مباشرة، يجعل من هذه اللقاءات مجرد مناسبة دورية للتذكير بعدم الجدوى من التفاوض معه ، على الرغم من التفاؤل الكبير الذي يبديه المبعوث الأممي دوماً، والذي توّجه مؤخراً باعتبار ما جرى في أستانة مع الاتفاق الروسي الأمريكي المتمم ، مقدمة هامة لتنفيذ الحل السياسي المتعلق بالقرار رقم ٢٢٥٤ ، واصفاً ذلك بالتحضير للحل القادم بانتظار اللحظة التاريخية ، دون أن ينظر إلى الاختلافات والعقبات المحيطة بتلك الاتفاقات، وللمواقف الرامية للالتفاف عليها ، ودون الحاجة للقفز عليها نحو مسألة وحدة المعارضة ، بسعيه لتمثيل من يسمون بمنصات موسكو والقاهرة ضمن وفد المعارضة التفاوضي، حيث لا يمكن الحديث عن وجود قوى سورية حقيقية ممثلة للشعب السوري، لتقوم بدورها في المفاوضات الجارية كجلسات مؤتمر وطني عام، بقدر ما يتوجب على المشاركين فيها أن يضعوا وفقط، آلية لتنفيذ الانتقال نحو دولة لجميع السوريين.

إن التطورات الحالية قد لا تبدو متوافقة مع ما يتم تناوله سياسياً للوصول نحو مخرج معين، وإن الهدوء النسبي الذي تشهده بعض المناطق قد لا يبدو نتيجة للاتفاقات والتفاهمات المبرمة، فالتمدد الحاصل لقوات الأسد والإيرانيين وبمساعدة القوات الروسية هو الظاهر، والتدخل الأمريكي يسير بوتيرة سريعة، وعلى عدة جبهات في الشمال والشرق والجنوب الغربي، وكذلك هو حال التدخل التركي المتجه نحو التوسع في السيطرة شمالاً، وصولاً للتهديد بدخول منطقة عفرين؛ بهذه التطورات هل يمكن القول بأن ما يجري يمثل تحضيراً لحل، أم أنه بداية لمرحلة صراع وتنازع ، قد يتخذ شكلاً حاسماً من قبل البعض، وقد يبعد كل السوريين نظاماً ومعارضة عن تقرير مصير بلادهم، ويضعهم تحت وصايات أجنبية ومن نوع جديد، الأمر الذي لا يمكن تلافيه وكما يبدو، سوى بالسير السريع نحو تطبيق الحل الدولي، وإخراج كل القوى الأجنبية التي تلطخت أيديهم بدماء السوريين، وبلا أية مقدمات أو تحضيرات، ستزيد الوضع تعقيداً، وستفاقم من المآسي والكوارث التي حلت بهم.

لؤي حاج بكري

(على الأرض)

هيئة "تحرير الشام" توسع رقعة نفوذها في إدلب..
و"حزب الله" يبدأ معركة "جرود عرسال"
بدون الجيش اللبناني

طغى المشهد العسكري في محافظة إدلب شمال سوريا على كافة التطورات التي رافقت النصف الثاني من شهر تموز/ يوليو الجاري بعد اندلاع اشتباكات عنيفة بين حركة «أحرار الشام الإسلامية»، وهيئة «تحرير الشام»، أفضى لسيطرة الأخيرة على معظم مدن وبلدات الريف الإدلبي، فيما أعلن «حزب الله» اللبناني بدء معركة «جرود عرسال» ضد هيئة «تحرير الشام»، وسرايا «أهل الشام»، ومقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية المتواجدين في المنطقة على الحدود مع سوريا.

هيئة «تحرير الشام» توسع نفوذها في الشمال السوري

على خلفية حوادث سابقة منذ منتصف حزيران/ يونيو الفائت عندما بدأت أحرار الشام وفتح الشام تبادل اعتقالات العناصر فيما بينهم اندلعت اشتباكات عنيفة بين الطرفين في محافظة إدلب، وصفها نشطاء بأنها «حرب الرايات»، حيثُ تهدف المعارك لبسط أحد الطرفين سيطرته على كامل المحافظة من أجل استلام زمام إدارتها المدنية والعسكرية.

واتهمت أحرار الشام منتصف تموز/ يوليو الجاري تحرير الشام باستقدامها أرتالاً تمهيداً لاقتحام مدينة سراقب بريف إدلب، وبعد بيانات رافقها معلومات متضاربة حول تجدد الاشتباكات بين الطرفين، نقلت وكالة «سمارت» على لسان الناطق الرسمي باسم أحرار الشام عمر خطاب انسحابهم «من المناطق المأهولة بالسكان لأن هدفنا ليس القتل والتدمير، ولم ننسحب بتفاهمات مع تحرير الشام»، وذلك بعد ساعات من إعلان الهيئة انسحاب الأحرار من مدينة سراقب، وخرج أهالي سراقب في مظاهرات دعت الهيئة للخروج من المدينة قابلتها الأخيرة بإطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين ما أسفر عن سقوط قتيل واحد على الأقل في صفوف المدنيين.

وعقب إعلان تحرير الشام عدم قبولها مبادرة جرى طرحها لتهدئة الاقتتال مع أحرار الشام، أعلنت حركة «نور الدين الزنكي» انسحابها من تحالف هيئة «تحرير الشام»، وقالت في بيانها إن سبب انسحابها ناجم عن «عدم تحكيم الشرع، وعدم قبول المبادرة المطروحة وتجاوز لجنة الفتوى للمجلس الشرعي واتخاذ مجلس الشورى قرار بقتال أحرار الشام»، مشددة وقوفها على الحياد، وأنها «تلتزم الحركة وقادتها بقرار القائد العام بالانفصال عن تحرير الشام، وكونهم قوات فصل بين الطرفين».

وشهد يوم الـ٢٢ من الشهر عينه تطوراً جديداً بإعلان ١٢ لواء وكتيبة عسكرية انشقاقهم عن أحرار الشام وانضمامهم إلى الهيئة، كما أعلن قبلهم بيومين «قطاع البادية» في الأحرار وانضمامه للهيئة، وتوصل الطرفان لاتفاق بعد اقتتال استمر ما لا يقل عن أربعة أيام، ونص مضمون الاتفاق على إطلاق سراح الأسرى من الطرفين، وانسحابهما من معبر باب الهوى شمال مدينة إدلب تمهيداً لتسليمة إلى إدارة مدنية.

وقالت الهيئة عبر حساباتها الرسمية إنها أحكمت سيطرتها على قرى (كرسعة، رشا، ترملا ومحكمتها، معرة الصين، بعربو، القصابية، والفقيع، ومقر الـ٥٧) بريف حماة من كانت الأحرار تسيطر عليهم، كما سيطرت الهيئة على مجموعة من البلدات والقرى بريف إدلب، إلى جانب مدينة «دارة عزة» بريف حلب الغربي بعد إعلان فصيلي «كتائب ابن تيمية» و»فوج حذيفة بن اليمان» انضمامهما للهيئة عقب بيان انشقاقهما عن الحركة.

حزب الله يبدأ معركة جرود عرسال

بدأ «حزب الله» اللبناني مدعوماً بقوات النظام السوري وميليشيات محلية يرافقها إسناد جوي من مقاتلات النظام فجر يوم الجمعة الـ٢١ للشهر الجاري معركة السيطرة على «جرود عرسال» المتاخمة للحدود السورية، و»جرود فليطة» داخل الأراضي السورية في ريف دمشق الجنوبي، حيثُ يتواجد فصيلي هيئة «تحرير الشام» و»سرايا أهل الشام»، فيما غابت الاشتباكات عن مناطق (ميرا وجرد ميرا) حيث يتواجد تنظيم الدولة الإسلامية.

وقال الإعلام المركزي الحربي التابع لحزب الله إنهم تمكنوا من السيطرة خلال يومين على أكثر من ٢٠ موقعاً في «جرود عرسال»، ومنطقة «القلمون الغربي» داخل الأراضي السورية، وتسمح استعادة حزب الله والنظام السوري السيطرة على المنطقة ببسط سيطرتهم على كافة الشريط الحدودي بين سوريا ولبنان، وإنها أي تواجد لفصائل المعارضة السورية في بلدات أرياف دمشق الملاصقة للحدود بين البلدين.

وقالت هيئة «تحرير الشام» في تصريح لموقع «جنوبية» إن «الشرط الوحيد والنهائي لأي تفاوض مرتقب هو خروج حزب الله من الجرود وعودة اللاجئين إلى مناطقهم»، مضيفةً أن «اللاجئين السوريين في جرود عرسال اللبنانية يناشدون المنظمات الإغاثية والإنسانية لإيصال الطعام والشراب إليهم بعد انتهاء أدنى مقومات الحياة بسبب الحصار الذي سببه الحزب»، وفيما قالت وسائل إعلام عديدة إن الحزب فقد العشرات من مقاتليه خلال المعارك الدائرة، أعلن حزب الله رسمياً مقتل ثمانية من عناصره خلال الاشتباكات.

وكان الناطق الرسمي باسم سرايا «أهل الشام» عمر الشيخ أوضح في تصريح لوكالة «سمارت» أن «الجيش اللبناني يستهدف كل ما يتحرك في مخيمات جرود البلدة، بالرصاص العشوائي وقذائف الهاون، ما أسفر عن مقتل المدنيين، وهروب عشرات العوائل بشكل جماعي إلى داخل البلدة»، رغم عدم اشتراك الجيش اللبناني في المعارك الدائرة، فيما نقلت وكالة «رويترز» عن مسؤول في الجيش اللبناني أنهم يعملون على تسهيل عملية عبور اللاجئين في مخيمات جرود عرسال، وقال ناشطون لوكالة «سمارت» إن ٣٠ عائلة لاجئة وصلت من «وادي حميد» إلى بلدة «عرسال» بسبب القصف العشوائي، واقتراب المعارك من المنطقة.

تشكيل الجبهة الوطنية لتحرير سوريا في الجنوب

أعلن ١١ فصيلاً معارضاً في جنوب سوريا يوم السبت الـ٢١ تموز/ يوليو الجاري اندماجهم ضمن تشكيل «الجبهة الوطنية لتحرير سوريا»، وقالت الفصائل في بيانها إن هدفها من الاندماج «العمل على إعادة الثورة السورية للاتجاه الصحيح التي خرجت من أجله والخلاص من نظام الظلم والقهر والاستبداد»، مشددة على أن يبقى قرارها «وطنياً حراً مستقلاً لا يرتبط بأي أجندة أو سياسات أو إملاءات خارجية تتعارض مع مصالح الثورة السورية»، وأن تحافظ على «وحدة سوريا أرضاً وشعباً»، داعية كافة القوى العسكرية والمدنية لـ»تكاتف الجهود وتوحيد العمل بالاتجاه الصحيح».

لؤي الناصر

اتفاق تهدئة في "الغوطة الشرقية"

أعلنت وزارة الدفاع الروسية أن اتفاقاً بين فصائل المعارضة وقيادة القوات الروسية في سوريا أبرم بوساطة مصرية لـ»ضبط آلية عمل منطقة وقف التصعيد في الغوطة الشرقية» اعتباراً من الـ٢٢ من تموز/ يوليو الجاري، وأضافت الوزارة في بيانها «لقد رسم الاتفاق المبرم اليوم حدود منطقة وقف التصعيد في الغوطة الشرقية، وحدد مواقع انتشار قوات الفصل والرقابة في الغوطة وصلاحياتها، كما حدد خطوط إيصال المساعدات الإنسانية وممرات عبور المدنيين».

وأشارت الوزارة حسب ما نقلت وكالة الأنباء الفرنسية أنه «نتيجة للمحادثات التي جرت في القاهرة بين مسؤولي وزارة الدفاع الروسية والمعارضة السورية المعتدلة تحت رعاية الجانب المصري (...) تم التوقيع على اتفاقات حول آلية عمل منطقة خفض التصعيد في الغوطة الشرقية»، فيما أعلنت وكالة «سانا» للنظام السوري في خبر عاجل أن «القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تعلن وقف الأعمال القتالية في عدد من مناطق الغوطة الشرقية بريف دمشق» اعتباراً من ظهر اليوم نفسه.

إلا أن وكالة «سبوتنيك» الروسية كشفت نقلاً عن مصدر مطلع في الدفاع الروسية أن «فيلق الرحمن» أحد أبرز الفصائل المتواجدة في «الغوطة الشرقية» ليس طرفاً في الاتفاق، حيث أوضح أن «جيش الإسلام وقع على الاتفاق، لكن فيلق الرحمن، الذي يسيطر على أجزاء من الغوطة الشرقية لم يوقع عليها»، وكان المتحدث الرسمي باسم الفيلق وائل علوان نفى لوكالة «سمارت» مشاركتهم أو تواصلهم مع أي جهة بخصوص هذا الاتفاق، مضيفاً أن «الاتفاق هو نتاج حركة الاتصالات بين روسيا والولايات المتحدة والأردن».

من جهته قال رئيس الهيئة السياسية لـ»جيش الإسلام» محمد علوش إن «الاتفاقية تمت، والآن دخلت حيز التنفيذ، وتؤدي إن شاء الله إلى فك الحصار عن الغوطة وإدخال كافة المواد الإنسانية والمحروقات إلى الغوطة»، وتابع علوش في حديثه مع وكالة «سبوتنيك» موضحاً أنه «ستكون هناك نقاط للفصل بيننا وبين النظام، وهذا يعتبر جزء من الحل السياسي أو تمهيد للحل السياسي وفق القرارات الدولية».

فيما كشف المتحدث باسم الجبهة الجنوبية عصام الريس لشبكة «بلدي نيوز» الإعلامية قبل يوم واحد من إعلان الاتفاق أن «قياديين في الأردن يناقشون توسيع اتفاق الجنوب وضم الغوطة الشرقية وريف حمص الشمالي»، في الوقت الذي نفى القيادي في تيار «الغد» السوري أحمد شبيب في حديث للشبكة ذاتها أن يكون للتيار أي علاقة بالاتفاق، مشدداً على ترحيبهم بالاتفاق الموقع لوقف التصعيد في كامل الغوطة الشرقية.

المحرر السياسي/ وكالات

معركة الريف الشمالي كبداية الانهيار

كلنا يتذكر المعركة التي حدثت في بداية العام ٢٠١٦، في الشهر الأول، عندما تمكنت الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران، من الالتقاء مع الميليشيات القادمة من تلك البلدتين في قرية معرسته الخان، بعد معركة راح ضحيتها أكثر من ٦٠ شهيداً.

بالطبع سبق ذلك الاجتياح، قصف روسي عنيف، ولربما يكون الأعنف قياسا بالمساحة التي سقط عليه، حيث مئات الصواريخ والبراميل والقنابل المتفجرة دمرت معظم تلك القرى، وتحديدا الواقعة مقابل البلدتين المقصودتين.

نتج عن تلك العملية قسم الريف الشمالي لحلب إلى قسمين أولا، وإلى تهجير ما يزيد عن مئة ألف إنسان من بيوتهم.

وفيما يخص موضوع فصل الريف لقسمين كان له الأثر الأكبر في قطع الإمداد والتواصل مع تركيا، الدولة الداعمة لفصائل الثورة، ومعالجة المصابين، ناهيك عن الحد من عمل المنظمات الإنسانية، كما فصلت ذلك الجزء الشمالي عن التواصل عن الريف الغربي لحلب، وبالتالي ادلب، وجعل الطريق الوحيد يمر عبر مناطق حزب الاتحاد الديمقراطي، مما قلل الكثير من الحركة بين المنطقتين.

الأمر الثاني الذي كاع عبئا كبيرا على كاهل الثورة والمنظمات وحتى تركيا، كان النزوح الكبير، حيث امتدت الخيام بجوار الحدود وسط ظروف قاسية، وخاصة ذلك العدد الكبير من النازحين الذي زحف خلال فترة قصيرة جدا.

وعلى هامش تلك الضربات الوحشية، وبالاستفادة والتنسيق المباشر مع القوات الجوية الروسية، تقدمت قوات وحدات حماية الشعب الكردية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي، لتحتل عدة قرى عربية وتشرد أهلها لتضيف عبئا أكبر، وتعمق من الكارثة التي حلت بالريف الشمالي، وتكشف في جانب منها عن مدى التنسيق والتعاون بين تلك القوات والنظام والميليشيات الشيعية والروس، في ضربهم لقوى الثورة السورية العسكرية والمدنية(على سبيل المثال، لا تتجاوز المسافة بين حاجزي الطرفين مئات الأمتار، وفي احدى القرى المتجاورة لا تبعد أكثر من كيلومتر واحد)

كل هذا جعل المنطقة مكشوفة وعرضة لهجوم وضربات الميليشيات الشيعية بحيث جعلت من تلك القرى التي احتلتها قواعد لهجمات وقصف تجاه المناطق الأخرى المجاورة لها من جهة الجنوب.

أصبح الثقل الأساسي للفصائل العسكرية متركزا في الريف الغربي لحلب، وكمحاولة منها لرد الاعتبار، قامت بمحاولة الدخول لمناطق حلب الغربية لفك الحصار عن مناطق شرق حلب، التي تحاصرت بعد فترة من معركة الريف الشمالي، ولهدف أكبر هو تحرير الجزء الغربي، مما يجعل مدينة حلب كاملة تحت سيطرة المعارضة، بدت العملية بتحقيق اختراق كبير جدا في ما عرف بمعركة الكليات العسكرية الواقعة إلى الجنوب الغربي من حلب، لكنها سرعان ما انتهت لنتائج كارثية تمثلت بانسحاب للفصائل وخسائر بشرية ومادية كبيرة، ولربما فاقت خسائر الانسحاب خسائر الاقتحام.

بالطبع كثرت التفسيرات عن دواعي الانسحاب، ولربما أهمها الولاءات الإقليمية والدولية، وخسارة الريف الشمالي لمدينة حلب.

مع اقتراب العام من نهايته باشر النظام والميليشيات الشيعية من اقتحام الأحياء الشرقية للمدينة بدءا بحي مساكن هنانو، لتنتهي مع اليوم الأخير للعام بخروج المقاتلين ومن أراد من المدنيين وفق شروط قاسية ومذلة، حيث تعرضت قوافل المدنيين للتفتيش المهين من عناصر حزب الله، ومعاملتهم البشعة للسكان.

بالطبع عاد قسم لا يستهان به إلى المناطق الغربية، قبل الخروج، وأثناءه عبر مناطق سيطرة الحزب الكردي (حي الشيخ مقصود)، الذي كان تعاونه مع النظام واضحا بما يخص الشباب في سن التجنيد، وكانت مكافأة النظام: السماح له بدخول أربعة أحياء من الأحياء الشرقية: بستان الباشا والهلك وبعيدين والحيدرية، ومثلها مثل مناطق التي احتلها في الريف الشمالي، لكن التجاور في المدينة أقرب، وما تزال لتاريخه وفق ذلك الترتيب.

الحصيلة كانت موجعة، فخسارة مدينة كبيرة ولو جزء منها، كان ضربة كبيرة لمسار الثورة، وسواء أقر «زعماء» المعارك بدور المدن وقيادتها للريف أم لا، فتلك حقيقة ما زالت تغشى عليهم، رغم المصير البائس الذي وصلت إليه البلاد.

شكلت خسارة الجزء الشرقي من مدينة حلب، بعد حصاره ضربة كبرى للثورة وقواها المدنية قبل العسكرية، كما كشفت هشاشة بنية الفصائل العسكرية وتنازعاتها الأيدلوجية من جهة، والناتجة عن الولاءات الإقليمية والارتباطات لدرجة التبعية المطلقة، وهذا لا يقلل من القصف العنيف الوحشي الروسي، والفظاعات التي ارتكبتها الميليشيات الشيعية الإيرانية بحق المدنيين، والتي تصل لحد ارتكاب جرائم حرب. وكنتيجة طبيعية لسيطرة النظام على كامل

المدينة، نزح عشرات الآلاف من جزئها الشرقي وتوزعوا على مناطق الريف الغربي لحلب وفي إدلب، وقسم في الريف الشمالي، أما القسم الأكبر فبقي في المدينة، مقدما شروط الولاء للنظام، ومنهم من كان في واجهة العمل العسكري والمدني في صفوف المعارضة.

توجت خسارة مدينة حلب، انكسارات المعارضة، كما أسست لبداية انهياراتها، حيث أجبرت، على المشاركة في المفاوضات التي تشرف عليها روسيا في الآستانة بمشاركة كل من تركيا وإيران، كنتيجة طبيعية لتراجعها عن أهم مركز حضري في سورية، حلب.

تتالت العملية بمزيد من الهدن (والتي هي حاجة ضرورية للناس، في ظل هذه الظروف القاهرة)، حيث عقدت اتفاق المدن الأربعة تلبية لمصالح إقليمية أكثر منها داخلية، واندرجت راعبة أو مكرهة في مسلسل الآستانة تحت الإشراف الروسي الذي يهدف لترتيب يكرس الاستبداد ولو بأشكال جديدة، هذه الطريقة التي تناغمت معها مؤخرا إدارة ترامب في عملية مناطق خفض التصعيد، والتي باتت شكلا من أشكال وضع سورية تحت نفوذ دول لإقليمية ودولية، ولربما تكون البداية نحو الانتقال لحل سياسي يكرس سلطة ضعيفة ومناطق إدارية متنازعة موزعة على أساس عرقي وديني.

لا شك أن العنف الوحشي الذي مورس بحق السوريين من أطراف عديدة، وخاصة حلفاء النظام روسيا وإيران، ساهم لحد كبير في إيصال سورية لما هي عليه اليوم، ولكن ممارسة الفصائل العسكرية وسيادة النزعة الفصائلية المدمرة بينها، إضافة لعقلية الإسلام الجهادي بشكله القديم (تنظيم القاعدة)، والجديد بشكله الأكثر وحشية (داعش)، إضافة لقصور في الخطاب السياسي المعارض ساهما جميعا في عملية إخضاعنا، لكن ما يبرز اليوم في مناطق الريف الشمالي والغربي وإدلب من تظاهرات مدنية عارمة ضد النظام أولا، وجبهة النصرة ثانيا، وتقاعس وشللية الجيش الحر ثالثا، قد يكون عودة إلى النضال السياسي، ولا بد من تشجيعه ودعمه كصوت مدني يريد التغيير والخلاص من الاستبداد ومن حكم العسكر أيا كان شكله.

أحمد عيشة

عصر الملاحم..... ذاكرة الشرق المثقوبة

تنتشر أحاديث آخر الزمان عند عامَّة المسلمين بشكلٍ كبير، ويتعزَّز حضورها إذ تقفز فجأةً لتصير موضوع الساعة مع كلِّ طارئٍ غير اعتياديٍّ، وينسحب ذلك على كوارث الطبيعة لتتَّسق في انسجامٍ تامٍّ مع كوارث يتسبب بها البشر، فتسونامي هناك وزلزال هنا وانفجار بركان واندلاع حربٍ مدمِّرةٍ كلُّها تصبح شروطاً موضوعيَّةً لظهور أحاديث آخر الزمان وتسيُّدها واجهة القيل والقال والتي لا تنتهي حتّى انتهاء الكارثة.

وهكذا يكثر في مثل هذه الأوقات الحديث عن أشراط قيام الساعة واقترابها ومعركة آخر الزمان، وظهور المسيح الدجال والدابَّة، وخروج يأجوج ومأجوج ونزول المسيح أو المهديِّ وغيرها من الروايات المتلازمة ضمن مايُعرف عند المسلمين بأحاديث الفتن والملاحم.

ولقد دأب علماء الدين الإسلاميِّ خلال العصور السابقة وعلى اختلاف مذاهبهم على استجلاب هذه الأحاديث وإذاعتها كلَّما طرأت نازلةٌ أو داهم البلاد خطرٌ كارثيٌّ أو اشتعلت حرب مؤذنةٌ بالدمار. وكان يطلب على الدوام من المؤمنين العودة على الله والتمَّسك بدينه، والابتعاد عن الفتن، وعدم الخوض بين الخائضين، وأنْ يلتزم كلُّ مؤمنٍ فريقَه فلا ينساق مع دعاوة المضلِّلين الذين عادةً ما يكونون فئةً أخرى مناوئةً سياسيّاً.

وتقوِّي هذه الأحاديث الميل نحو التنبُّؤ الشخصي عند الأفراد، وتدفعهم لتأويل الأحداث لتنسجم مع محتوى تلك الأحاديث وأخبارها، بل إنَّ الأمر تطوَّر مرَّاتٍ عديدة، فوصل إلى أنْ يدَّعي بعض الأفراد المهدويَّة؛ وأنَّه المهديُّ المُنتَظر صاحب الزمان كما الأمر عند الشيعة أو المسيح المهديَّ كما ظهر عند السنة خلال مراحل التاريخ، وفي العصر الحديث فقد ظهر أدعياء المهدويّة في مختلف الأقطار الإسلامية بما يزيد عن عشر حالات.

ولا غرابة في تبنِّي هذه المجموعات الدينيّة المختلفة المتباينة فكريَّاً ضمن الإسلام لهذه الفكرة، فقضيّة ظهور المهديِّ مثلاً عند الشيعة والسنة تقع ضمن إطار العقيدة، وهو ما يوجب الإيمان بها عند المسلمين عموماً، وإنْ شذَّت عن ذلك الإباضيَّة والشيعة الزيديَّة التي لا تعتقد بالفكرة ولا تعتدُّ بأحاديث الفتن والملاحم.

وتشهد منطقة المشرق العربي منذ ما يزيد على عقدين من الزمن حروباً كارثيَّةً مُدمِّرة في كلٍّ من سورية والعراق، ولذا فقد وجدت هذه الأحاديث ومروِّجوها بيئةً مناسبة لتظهر بروياتها وتأويلاتها وأن تُحمّل ما ليس تحتمل.

ولا يقتصر استخدام هذه الأحاديث على فئةٍ دينيَّة معيَّنة، فكلُّ المذاهب الإسلاميَّة تستعين برواياتها وتأويلاتها لهذه الأحاديث، وفي المذهب الإسلامي الواحد تظهر تأويلاتٌ وتبريرات متباينة لها، فما يريده الدين الرسميُّ غير ما يريده الدين الشعبيُّ المحايد، وهذا غير ما يريده الدين المعارض، وغير ما يتبنَّاه الدين الخارج على هؤلاء جميعاً.

إنَّ القضيَّة تكمن في النهاية بالقيام بعمليَّةٍ انتقائيَّةٍ تصطفي وتنخب، وتختار ما يناسب الموقف؛ وما يجيَّر أوَّلا وأخيراً لخدمة الأهداف السياسيَّة التي تكون في الخلفيّة، والتي تُلبَس لبوساً دينيَّاً في حالة صراعات المشرق العربيِّ الراهنة.

أمَّا الدهماء والعامَّة البسطاء من المسلمين، فهم وقود هذه النزاعات وحطبها، وعليهم اتِّباع ما يُملَى عليهم، والاقتناعُ بتبريرات زعاماتهم الدينيَّة والروحيَّة والسياسيَّة.

لا شكَّ أنَّ ما حدث وما زال في العراق وسورية أمرٌ في غاية المأساويَّة، لكنَّ الثابت أن طبيعة الأنظمة الديكتاتوريَّة والصراع الغاشم على السلطة والأطماع الإمبراطوريَّة للدول المجاورة لهذا المركز، أدّى لظهور حركاتٍ راديكاليَّة وصلت أبعد ما يمكن تصوّره من التطرّف في تفسيرها للإسلام، وطبّقته سلوكيَّاً على الأرض وخلال مجرى الأحداث.

ولقد تغذَّت تلك المسوخ الراديكاليّة من بيئةٍ تفشّت فيها العقليَّة الطائفيَّة البغيضة بشكلٍ وبائيّ، فهي لا ترى الآخر المُختلف إلاَّ عدوَّاً، ولقد بدا الوضع في هذه المنطقة مُعقَّداً لدرجةٍ يصعب فهمها أحياناً، وإنْ كنَّا نستطيع فهم الأسباب التي كانت المحرِّك والموجِّه الحقيقيَّ لأن تبلغ هذه الذروة من التراجيديا.

لقد أُزهِقت خلال السنوات الماضية أرواح مئات الآلاف من الأبرياء، وهُدِمت المنازل فوق رؤوس الآمنين، وشُرِّد البشر في كلِّ مكان، فأكلتهم ضواري الصحراء، وشبعت من أجسادهم أسماك البحر، وتدهور الاقتصاد، وشُغِل الناس بقوتهم وتأمين أدنى فرصةٍ للحياة، حتّى أصبحت الحياة كارثيَّة مستحيلة.

ولكن، ورغم كلِّ ما حدث، فهل يزعم زاعمٌ أنَّ ما حدث كان نهاية التاريخ أو أنَّه سيكون؟ أوَ نصدّق هذا الزعم؟ إنّ مراجعةً بسيطةً للتاريخ بعين المتفحّص لا الخبير، تخبرنا بانعدام وجه المقارنة، فلقد أنبأنا التاريخ بما هو أسوأ!

لقد عرفت منطقة المشرق العربيّ خلال تاريخها الطويل مثل هذه الكوارث، بل ما هو أشدُّ منها، فهل اطَّلع المروِّجون لنهاية العالم على هجمات التتار وغزوات المغول وحروب الصليبيّين؟ وهل خبِروا عن خراب البصرة ودمار بغداد واستباحة مكَّة ودمشق وحلب والموصل وبيت المقدس في تلك العهود؟ بل هل خطر في بال أحد المروِّجين أنَّ مثل هذه الأحداث الكارثيَّة كانت قد حدثت قبل الإسلام في هذه المنطقة ذاتها.

أيكفي أنْ نذكِّر أنَّ الحروب الصليبيَّة استمرت لمئتي عام؟ وأنَّ الدماء سالت في الحواضر العربية سواقياً وأنهاراً؟ وهل نستعيد أنَّ القرامطة استباحوا مكَّة وحرمها، واقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة الشريفة ونقلوه إلى هُجَر؟ أم نُذكِّر بالزلازل التي دمرت هذه الحواضر على مرِّ العصور والطاعون الذي فتك بشعوب المنطقة يوماً ما.

أم نُذكِّر بأنَّ رائحة الجيف الآدميَّة كانت تزكم الأنوف على بعدُ أميالٍ من بغدادَ التي اجتاحها المغول، أم نقول أنَّ الذاكرة الجمعيَّة لشعوب هذه المنطقة قد اجترحت مثلاً يقول «وهجموا كالتتار أو هجموا كالمغول».

لا شكَّ أنَّ أحداث السنوات الأخيرة كانت مأساويَّة للغاية، ولكن هل يمكن مقارنتها بفداحة أحداث العصر الوسيط، أم أنّ شعوب المنطقة تعيش بلا ذاكرة؟

ثمَّة سؤالٌ مهمٌّ آخر، وهو ماذا كان يقول مسلمو العصر الوسيط ممَّن عاشوا تلك الأحداث، ألمْ يَقلْ قائلهم إنَّها أحداث نهاية الزمان؟ ألم يستجلب الأحاديث إيَّاها ليحذِّر الناس ويعظَ المؤمنين وينذرَ باقتراب قيام الساعة.

لقد مضى على ذلك العصر وأحداثه ما يناهز ألف عامٍ تقريباً، ومازال علماء الدين الإسلاميِّ يردِّدون الأقاويل نفسها، ولعلَّ التساؤل الوجيه ما الذي يدفع هؤلاء الفقهاء إلى تِرداد تلك التقاويل والتأويلات، أم أنّهم يعيشون بالذاكرة المثقوبة ذاتها.

تعاني مجتمعاتنا الشرقيَّة من الجهل المدقع والتخلُّف المتفشِّي، وتنتشر فيها ثقافة المؤامرة التي تنشأ من ذهنيَّة قاصرة تردُّ كلَّ ما لا تستطيع تفسيره إلى أسباب غير موضوعيَّة، فيما تشكِّل الثقافة عارضاً استثنائيَّاً وقشرةً ظاهريَّة تغلِّف الطبيعة الحضاريَّة الهشّة لهذه المجتمعات في عصرنا الراهن.

ويعاني المثقَّفون عامَّة من ضمور الفكر النقديِّ، إذ لازال أكثر المثقّفين يخضعون لهيمنة قروسطيّة فكريّة، فليس غريباً أن يسمع صوت لا زال يجادل في كرويَّة الأرض أو (كذبة) الجاذبيّة الأرضيّة أو حتَّى سير أرمسترونغ على سطح القمر.

يحدث مثل هذا كثيراً في العالم الإسلاميّ، بينما استقبل العالم الألفيَّة الثالثة قبل سنوات، ويتعمّد هؤلاء تطويع اطِّلاعاتهم السطحيّة عن العلم ومكتشفاته إلى مأثوراتهم الدينيَّة ضمن إطارٍ من المحدوديَّة الفكريَّة، لتكون نتيجة ذلك خليطٌ ذهنيّ لا يصحّ علميَّاً كما لا يصحُّ دينيَّاً، ويسقط أمام امتحان العقل السليم بكلِّ بساطةٍ فيكشف ما ينطوي عليه من دجلٍ وبهتان.

وفي الواقع، لا يمكن زحزحة تلك القناعات عند الناس قيد أنملة، وتفشل كلُّ دعوةٍ إلى التفكير والتدبّر، فنحن أمام واقع إسمنتيٍّ صلب ينبني على أسسٍ تضرب عميقاً في

المكوِّن الجمعي للفكر الإسلاميِّ، لأنَّه ينتشر على خلفيَّة واسعة ممتدَّة من الجهل والتخلُّف.

كما أنَّ فترات الكوارث والحروب تخلق اليأس عند الناس فتدفعهم للبحث عن الخلاص ضمن نزعةٍ نكوصيَّة متوثِّبة وجاهزةٍ دوماً لإفراز الاستجابة، فالشعور باقتراب النهاية على المستوى الفرديّ والمجتمعيّ يعمِّم ويؤوَّل بالنتيجة على أنَّه اقترابٌ من نهاية للعالم.

إنَّ المركزيَّة التي تمتَّع بها المشرق العربيُّ خلال التاريخ تبقى سمةً جوهريّة لهذه المنطقة، وترتكز هذه المركزيَّة على تراثٍ عميق ثنائيِّ البنية فهو دينيٌّ من جهة وحضاريٌّ من جهة أخرى. وعلى المستوى الدينيِّ فإنَّ هذه المركزيَّة تأخذ مكان القلب من العالم في المنظومة العرفانيَّة للديانات الإبراهيميّة وما تفرّع عنها، وإنَّ التأويل الإسلاميَّ لمختلف الأحداث التي تعصف بالمنطقة يرتكز أساساً على هذه الطبيعة المركزيَّة.

وإنَّ السؤال الذي ينبغي ألا نتجاهله ما إذا كانت هذه المركزيَّة تعني أنَّ الكوارث التي حدثت في أطرافٍ أخرى من العالم لا تعني شيئاً في سياق نهاية العالم، فهل كوارث الحربين العالميتين والإبادات التي تعرَّض لها عشرات الملايين من البشر في أوربا والأمريكيتين وفي أفريقيا والصين وغيرها ليست ذات بالٍ في هذا السياق.

ولعل الذهنيّة الإسقاطيّة تعدّ سببا هاماً في انتشار هذه الأحاديث فكلّ الطارئات أصبح لها مكانٌ في الحديث الشريف والذكر الحكيم، والأمر لا يحتاج دهاءً أو تداعيات فكريّة فأكثر ما يكون ذلك من خلال ليّ عنق الحديث الشريف أو الآية الكريمة وقسرهما لتأدية معنًى جديدٍ يتّسق مع ما يراد شرحه، وهو ما يحدث كثيراً في سياق الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، والحقيقة أنّ تأويل أحاديث آخر الزمان يرتكز وينطلق من الذهنيّة الإسقاطيّة نفسها، وبالنتيجة فإنّ المخرجات هي تقويل لا تأويل.

ولعلّ السبب الرئيس في انتشار أحاديث آخر الزمان وتأويلاتها هو ما يمكن تسميته بتضخّم العقل النقليّ الذي يسلِّم بصوابيَّة القدماء من الفقهاء، وأنَّهم وصلوا غاية الكمال في الفهم، فلا يمكن للمتأخِّرين مهما بلغوا من العلم أن يبلغوا شأوهم.

والحقُّ أنَّ هؤلاء القدماء السابقين اجتهدوا وعملوا ضمن الأدوات المعرفيَّة والفكريَّة التي أتيحت لهم في عصورهم، فجاءت اجتهاداتهم ردوداً عمليَّة وإيمانيَّة على ظروف خاصَّة عاشوها وعاصروها، والغريب أنَّ لا رغبة كائنةً في التجديد أو التفكير إذ ينحصر جهد الفقهاء المعاصرين في التصديق على اجتهادات القدماء والتوفيق بين الطوارئ والمستجدات مع آرائهم وأقوالهم وفق نزعةٍ فكريّة في منتهى الدوغمائيّة.

إنّ العجب العُجاب أن يدير العلماء ظهورهم إلى التاريخ، فهم دون أدنى شك مطَّلعون على أحداث التاريخ فيما يهمُّ المسلمين، لكنْ ألَّا يُدرَك هذا التاريخ وألَّا يفهم أو يُبحث لأخذ العبرة فهذه مشكلة تستعصي. ألا يُدرِك الفقهاء المعاصرون أنّ إسقاطات أسلافهم الفقهاء السابقين التاريخيّة لأحاديث آخر الزمان لم تجد طريقها إلى الصواب، وأنّها كانت مجرَّد أقوال فقدت مصداقيّتها مع تجاوز العصر والأحداث.

أم أنّها العجلة لإعلان بداية أحداث نهاية الزمان ونهاية العالم، فالظلم والطغيان سادا الأرض، ومن طبيعة المؤمنين البائسين المقهورين ضحايا الظلم والاستعباد أن يستعجلوا الخلاص والفوز بالجنة، أو لم تكن العصور السابقة مليئة بالظلم والطغيان وكان البسطاء والمستضعفون ضحيّةً في الحالتين.

إنّ الصحيح أنّ هذه المنطقة من العالم تعدّ المركز والقلب، ولعل الحروب والصراعات التي قامت خلال التاريخ في هذه المنطقة تستند في تبريراتها الدينية والجيوسياسية على هذه الحقيقة.

والصحيح أيضاً أن هذه المنطقة من العالم ظلّت على الدوام منطقة حروب ونزاعات شكّلت القاعدة فيها، في حين كانت حالات السلم هي الحالات الاستثنائيّة، ولا نجانب الصواب إن قلنا إنّه لا منطقة في العالم شهدت توالياً في الهجرات البشريَّة، وتتابعاً في الدول كما حدث في هذه المنطقة، لقد ظلّ إنسان المشرق يائساً على الدوام باحثاً عن الخلاص فكان يقوّي اعتقاداته من خلال ما يعاصره من أحداث ولقد ظل على هذا الطريق حتى الآن.

عبد القادر أحمد

دراسة سياسية من مركز "حرمون للدراسات المعاصرة" حول صراع الأجندات في الرقة والبادية السورية

صدرت وحدة الأبحاث وتحليل السياسات في مركز حرمون للدراسات المعاصرة بحثاً سياسياً بعنوان صراع الأجندات في الرقة والبادية السورية وذلك في النصف الأول من شهر تموز لعام ٢٠١٧، حاول البحث تقديم رؤية شاملة عن الواقع العسكري في هذه المنطقة، والصراع الخفي للأجندات الدولية فيها.

جاء البحث في مقدمة وخاتمة وثلاثة فصول. وقد أسهبت المقدمة في شرح تفاصيل الصراع بدءً من مدينة الرقة، وجاء فيها: «دخلت معركة انتزاع السيطرة على مدينة الرقة مرحلة جديدة، إثر سيطرة (قوات سورية الديمقراطية) "قسد" المدعومة من الولايات المتحدة الأميركية، وبعد إحكام الطوق على مسلحي تنظيم "داعش"، حيث تخوض منذ ٦ حزيران/ يونيو معارك داخل مدينة الرقة، في إطار حملة عسكرية واسعة بدأتها قبل نحو ثمانية أشهر. غير أن المواطنين السوريين، الذين فرّوا من ساحة القتال، يشعرون بالقلق مما قد تأتي به الأيام بعد المعركة.

في سياق هذه المعركة تزداد حدة التوترات بين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة، وبين روسيا وإيران وميليشياتها الأجنبية والنظام السوري من جهة ثانية، إذ تخشى القوى الخارجية الداعمة للأسد من المرحلة التالية للحرب على "داعش"، وتُشكّك في النيات الأميركية، غير الواضحة، التي تتركها ضحية القلق والحيرة.

تكتسب معركة الرقة أهمية كبيرة، إذ إن تحرير المدينة سيخلق معادلة جديدة في الجغرافية السورية، لعلَّ من أهم معالمها ولادة إقليم في شمال سورية تحت سيطرة "قسد" يتبع استراتيجيًا للنفوذ الأميركي المباشر؛ مقابل منطقة تمتد من حماة وسط البلاد وصولاً إلى العاصمة دمشق والساحل تحت سيطرة النظام وحليفيه الروسي والإيراني؛ ومنطقة في الشمال في شكل مثلث يمتد من جرابلس نحو الباب وإعزاز تحت سيطرة قوات "درع الفرات" برعاية مباشرة من تركيا؛ فيما تبقى منطقة في أقصى الشمالي الغربي، أي محافظة إدلب، تحت سيطرة الجماعات المسلحة؛ أو تحت الرعاية الروسية – التركية المشتركة».

وتحدث الفصل الأول عن وقائع الميدان العسكري السوري، معتبراً أن الاجتماع الثلاثي، الأميركي- الروسي- التركي، الذي حصل في آذار/ مارس الماضي، في أنطاليا التركية، بين رؤساء أركان الجيوش الثلاثة، كان أقرب إلى أن يكون غرفة عمليات ثلاثية عنوانها العريض تنسيق إدارة المعارك السورية، إذ «تتواصل اليوم المعارك داخل مدينة الرقة، وتحاول قوات "قسد" شق طريق لها إلى قلب المدينة، ولكنّ محاولة تقدم هذه القوات تُجابه بحائط صدّ من قبل مسلّحي التنظيم الذي يعتمد على الألغام والأنفاق، وعمليات القنص المستمرة، وقصف الأحياء التي خسرها في المدينة بقذائف الهاون، وهو ما دفع القوات المهاجمة لتثبيت نقاط السيطرة، والتقدم بحذر وبطء». وبينت الدراسة الدور الأمريكي المتزايد من الناحية العسكرية في المسألة السورية، إذ يؤكد تواجد قوى برية، وقواعد ثابتة، إضافة لسلاح الطيران، وتعزيزات بأسلحة أكثر تطورًا.

«وقد ظهرت بوادره بتغلغل القوات الأميركية في البادية وعينها على منطقة التنف، وإقامتها مواقع عسكرية متأهبة بالقرب منها». وبينت الدراسة أن واشنطن «لم تكتفِ التكثيف العسكري الميداني في سورية، بل قامت في ١٩ حزيران/ يونيو بإسقاط طائرة حربية سورية قرب الرقة، وهي أول مرة تُسقط فيها طائرة حربية سورية منذ إعلانها عن تشكيل التحالف الدولي عام ٢٠١٤، ما يشير إلى أن واشنطن قرّرت منع روسيا، وخصوصًا حليفها الإيراني، من السيطرة وإدارة الرقة بعد "داعش". ما استدعى أن تُعلن روسيا تعليقها لاتفاق (منع الاشتباك) الذي يهدف إلى منع وقوع حوادث جوية مع قوات التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في سماء سورية». وفي مقابل ازدياد التدخل الأمريكي ترى الدراسة أن روسيا بالمقابل «استعرضت روسيا قدراتها الصاروخية في ٢٣ حزيران/ يونيو، في عملية مزدوجة هدفت إلى القضاء على تجهيزات تنظيم "داعش" في بلدة عقيربات بمحافظة حماة، إذ أطلقت ستة صواريخ مجنحة من فرقاطتين عسكريتين وغواصة تابعة للبحرية الروسية، شاركت في عملية الإطلاق من مياه البحر المتوسط».

وكذلك كان وضع إيران «التي لم تكن راضية عن وضع الولايات المتحدة حدًا لتمدّد ميليشيات الحشد الشعبي الموالي لها من العراق باتجاه سورية، ردّت بمحاولة فتح معبر جديد يربط العراق وسورية في منطقة وسطى تقع بين معبر التنف الجنوبي ومعبر القائم في الشمال، وإدخال مئات من المقاتلين لعراقيين الموالين لها إلى سورية.

في الواقع، تتبدل الأوضاع الميدانية في الشرق السوري في عقب دخول ميليشيات إيرانية الحدود الإدارية لمحافظة دير الزور، وتأكيد التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة ترحيبه بذلك، في ظل توقعات بأن يشهد ريف المحافظة الواسع، معركة كبرى مع تنظيم "داعش"، وربما يأتي غضّ الطرف الأميركي عن توغل الميليشيات الموالية لإيران في الحدود الإدارية لمحافظة دير الزور كمحاولة من واشنطن لدفع هذه الميليشيات لصدام مع "داعش" لاستنزافها». كما وضحت أن سلطة الأسد «أرسلت تعزيزات عسكرية إلى منطقة البادية السورية، وتدور المواجهات العسكرية في ريف السويداء الشرقي وريف دمشق الشرقي، وصولًا إلى طريق دمشق- بغداد الدولي. كما تسعى، مع حليفيها روسيا وإيران، لفرض شراكة مباشرة مع التحالف الدولي في معركة انتزاع الرقة من تنظيم "داعش" من خلال التوغّل أكثر في ريف حلب الشرقي، ومن ثم دخول الحدود الإدارية لمحافظة الرقة». لينته هذا الفصل بخلاصة «أن المعركة الأساسية لاستئصال "داعش" لم تبدأ بعد، وستكون ساحاتها في محافظة دير الزور لا الرقة، وهي المحافظة الغنية، لا سيّما بالنفط، وقد تعمد واشنطن إلى بناء تحالف جديد أو الاعتماد على شركاء معركة الرقة أنفسهم والزجّ بهم في معركة دير الزور في وقت لاحق للسيطرة عليها وضمها لمناطق النفوذ الأميركي. ويبدو أن التصميم نفسه موجود أيضًا لدى الإيرانيين ووكلائهم على الأرض».

وفي القسم الثاني المعنون بـ «التداعيات السياسية للتطورات العسكرية» تقول الدراسة «لا تُشير الأجواء العسكرية إلى اتساع رقعة "خفض التصعيد"، بل إلى "تصعيد الاختراقات"، وليست هذه أقل وطأة من الاختراقات السياسية، التي تُنذر بتصدّع كبير في خطوط خرائط التحالفات العربية والإقليمية، وإلى حدٍّ كبير الدولية أيضًا».

حيث تتضارب مصالح اللاعبين الكبار هناك فأمريكا تستعجل إنجاز نصر في معركة تحرير الرقة. وبشار الأسد يرغب ببسط سلطته على الرقة بعد تحريرها لتأكيد أهليته في "محاربة الإرهاب"، كما ترغب إيران في المشاركة لتأكيد حضورها الكبير في الإقليم، وكذلك الأمر بالنسبة لتركيا التي تريد حضورًا يضمن لها قطع أوصال مناطق سيطرة الأكراد شمالي سورية. والموقف الروسي مرتبك قليلاً. «فإذا كانت روسيا واضحة في دعمها لسيطرة بشار الأسد على كامل مساحة "سورية المفيدة" غربًا، فهي أقل حماسة في دعم محاولاته للتمدّد نحو الرقة والطرق المؤدية إلى دير الزور. وجاءت تصريحات لافروف، في أعقاب إسقاط طائرة السوخوي التابعة للنظام، كأنها تعترف بالتخلّي عن "تركة ما بعد داعش" في الرقة، وربما دير الزور لاحقًا، للأميركيين، مقابل الاحتفاظ بالتملّك الحصري للأراضي الواقعة غرب نهر الفرات، ولكن يبدو أن الإيرانيين لم يصلوا إلى هذا التسليم أمام الأميركيين، وهو ما نراه في مواصلة القوات البرية التابعة للنظام والميليشيات التابعة لإيران محاولاتها المستميتة لنيل حصة ما من تركة "داعش" في الشرق».

وتخلص الدراسة في هذا القسم إلى أنه «هناك رهانات مُفخخة في سورية، فإذا كان الإجماع على محاربة الإرهاب، بصرف النظر عن توظيفه لخدمة مآرب مختلفة بل ومتعارضة، هو الذي سمح للقوى المنخرطة في الحرب على "داعش" باسترجاع زمام المبادرة، فإن هذا الإجماع يحجب الرؤية عن المسؤول عما آلت إليه الأمور في سورية، وعن تحوّلها إلى معقل للجماعات الإرهابية. وهنا مكمن الخطر في المقاربة الأمنية- العسكرية للتعامل الدولي مع إرهاب "داعش"، دون إيلاء الاهتمام الجدي للإجرام الذي سلكته سلطة الأسد منذ الأيام الأولى لثورة الشعب السوري في آذار/ مارس ٢٠١١.»

وفي القسم الثالث تحدثت الدراسة عن سيناريو اليوم التالي في الرقة، وترى إن «تحرير مدينة الرقة يواجه عددًا من التحديات الكبيرة، إذ لا يزال التوتر العرقي مشكلة محتملة. كما أن التوتر القَبَليّ مصدر قلق آخر، إذ إن الاعتماد على القبائل للسيطرة على الرقة بعد تحريرها يحمل خطر الاشتباكات القبلية.

كما يسعى النظام الذي طُرد من الرقة في آذار/ مارس ٢٠١٣، إلى فرض نفسه في مستقبلها من جديد، من خلال توغله في ريفها الجنوبي الغربي، حيث من المرجح أن يطالب بإدارتها، أو المشاركة في ذلك. وترى الدراسة أنه في سياق هذا الواقع السياسي والعسكري «يَغيب ويُغيّب أي دور للمعارضة السورية، وفي هذا يتفق اللاعبون الدوليون والإقليميون، وما يمكن قوله هو أنه كلما اشتغلت المعارضة على أساس إدراكها مخاطر هذا الوضع، وأعادت صياغة أوضاعها بدلالة الوطنية السورية الجامعة وحاجة الشعب السوري إلى الدولة الحديثة، كلما كانت أكثر قدرة على فرض حقوق السوريين في معادلات الحلّ السياسي القادم. وبالعكس، كلما تخلّفت عمّا تقدم، واشتغلت بعقلية المحاصصة الضيّقة، كلما تركت سورية لقمة سائغة للتجاذبات الخارجية، فيخسر الشعب السوري وتخسر معه هذه المعارضة أيضًا.»

لتذكر الدراسة في الخاتمة أن القضية السورية ستدخل مرحلة جديدة «سيحتدم فيها الصراع كثيرًا، ويبدو أن ملامحها ستتضح أكثر فأكثر، بعد الانتهاء من "داعش" في العراق وسورية، إذ إن التخلص من هذا الكيان سيضع مختلف الأطراف وجهًا لوجه أمام استحقاقات جديدة، فإما استمرار الصراع مباشرة، أو التوصل إلى توافقات بخصوص مستقبل سورية.

لكن أيَّ حل، في هذه الحال، لن يكون على قدر تضحيات الشعب السوري، ولا على قدر الآمال التي تطلّعت إليها ثورته، أي أن سورية في المستقبل ستأتي، على الأغلب، وفق ما ترسمه إرادات الأطراف الخارجية الفاعلة، ووفقًا لتوافقاتها». وتضيف «ويبقى السؤال: هل تندلع الحرب بالأصالة بين الأميركيين من جهة والروس والإيرانيين من جهة أخرى، بصورة مباشرة، على الأراضي السورية وفي أجوائها، بعد الانتهاء من معركة الرقة»؟.

إعداد فريق التحرير

الخارطة الثقافيّة.... أداة عمليّة في التنمية وبناء السلام

أصدرت مبادرة الإصلاح العربيّ* هذا الشهر دراسة للباحث السوريّ «حسّان عبّاس» بعنوان «الخارطة الثقافيّة: أداة عملية في التنمية وفي بناء السلام». قدّم الباحث في البداية معرّفاً مفهوم الخارطة الثقافيّة كأداة معرفيّة عمليّة غايتها تحسين شروط حياة الناس في أماكن وجودهم اعتماداً على مواردهم الثقافيّة.

ونوّه الباحث إلى أنّ كلمة (الثقافة) المقصودة في هذا البحث، لا تنحصر دلالتها في المجال الضيق الذي يتمّ تداولها به عادة في وسائل الإعلام، وفي الخطاب السياسيّ، والمعروف الذي يشير إلى المنتجات والإبداعات ذات الحمولة المعرفيّة، التي ينتجها إنسان صاحب خبرة في هذ ا المجال، وإنّما يتّسع مجال الدلالة، مستنداً إلى قطيعة مع الدلالة الشائعة، وأنّ بناء الخارطة الثقافيّة يتمّ وفق اتّباع ثلاث مراحل متتالية في الزمن ومترابطة، وعنون «عبّاس» المراحل الثلاث على النسق الآتي:

المرحلة الأولى: التوثيق، وأوضح أنّ المقصود به حصر الموارد الثقافية في المجال المراد بناء خارطته، وأنّ هذه الموارد بدورها تتشعب نزولاً إلى فئات أصغر فأصغر لتصل إلى الموارد المحددة وهذه الفئات الأربع هي: الموارد الماديّة الثابتة، والمادّيّة المنقولة، والموارد اللامادّيّة، الموارد الطبيعية؛ واختار الباحثُ المنهج متعدّد المسارات الذي يتضمّن خمسة مسارات أساسيّة هي: الرسميّ، العلميّ، العامّ، الحواريّ، والتفاعليّ.

أمّا المرحلة الثانية وهي التحليل، إذ يتشكّل لدى القائمين على بناء الخارطة بنك معلومات هائل يختلف حجمه تبعاً لمجموعة من العوامل، وأهمّها: اتّساع المنطقة المدروسة، والغنى الثقافيّ لها، فاعليّة المجتمع المدنيّ فيها. ويتركّز العمل خلال المرحلة الثانية على عدد من القضايا:

١-- تبيان نقاط القوة ونقاط الضعف الخاصّة بكلّ مورد من الموارد التي جرى توثيقها في المرحلة الأولى.

٢-إبراز الشبكة التعالقيّة التي تربط بين المواطنين من جهة وبين أهمّ الموارد الموثّقة من جهة أخرى.

وأوضح البحث أنّ دراسة التعالق الاجتماعيّ بين المواطنين تسمح بالتعرّف على الآليّات والتشابكات التي يقيمها، بوعي أو بغير وعي، الأفراد المختلفون في الثقافة والخبرة والمكانة الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة بين بعضهم، أي الأفعال الرابطة بين الناس من جهة، ونتائج تلك الأفعال، أو حالة الرابط الاجتماعيّ من جهة ثانية. كذلك تسمح دراسة التعالق بتبيان الآليّات والتشابكات التي تربط الأشخاص بالموارد الثقافيّة، وما ينتج عن هذه الآليات من علاقات خاصّة مع هذه الموارد. وتساهم هذه المعرفة مساهمة لا تقدر بثمن في إيضاح ميكانزيمات التماسك الاجتماعيّ، وميكانزيمات بناء الهويّة المشتركة. فالمواطنون المختلفون بفردانيّاتهم حين يبنون، كلّ من خصوصيّته، علاقة خاصّة، محلّيّة أو مناطقيّة أو جماعيّة مع المورد الثقافيّ؛ يبنون في الوقت نفسه شبكة تشاركيّة تجمعهم مع بعضهم، وتجمع بينهم وبين المورد. ويذكر البحث من الأمثلة على هذه التشاركيّة القوالب الموسيقيّة التقليديّة، فالقالب الموسيقيّ التقليديّ يستثمره المواطنون ليسكبوا فيه، كل حسب انتماءاته الثقافيّة الخاصّة، التعبير عن هذه الانتماءات فتنبني شبكة ارتباطات بين هؤلاء المختلفين فرديّاً، فيصبح فيها هذا القالب مؤشراً على وجود هوية مشتركة، وعاملاً في تعزيز التماسك الاجتماعيّ. ومن مستوى آخر، يذكر البحث الأعيا د الشعبيّة التي تحتضن شبكة معقّدة من الروابط المؤسّسة للتماسك الاجتماعيّ حتّى بين المكوّنات الثقافيّة المختلفة. ويشير البحث إلى الأهمّيّة الفائقة للذاكرة الجمعيّة، وحكايات التاريخ، في هذا المضمار .

ويختم الباحث «عبّاس» المرحلتين الأولى والثانية بقوله أنّه في مرحلة التحليل، يتمّ الاعتماد على الآليات المستخدمة في المسار التفاعليّ وبشكل خاصّ على مجموعات الحوار المصغّرة لوضع خطط التدخّل، وتكتسب هذه الحوارات فعاليّة أكثر إذا كان العاملون في بناء الخارطة قد تبينوا الوجهة التي سيجتهدون في التقدّم نحوه في المرحلة الثالثة من عملهم، وهي مرحلة التفعيل.

ويرى البحث أنّ عمليّة التفعيل تبدأ، عملياً بوضع خطّة، أو خطط، التدخل اعتماداً على النتائج التي خلصت إليها مرحلة التحليل، وتبني الخطّة حسب التوجّهات المرادة لها. فقد تكون هذه التوجهات تنمويّة، كما يمكن أن تكون اجتماعية وسياسيّة تتطلّع إلى بناء السلم الأهليّ في مجتمعات خارجة من الحرب. والواقع أن بناء السلم الأهلي يمكن أن يقدّم واحداً من المجالات الخصبة لتفعيل الخارطة الثقافيّة؛ ويعود ذلك بحسب البحث إلى عوامل عدة منها:

١ - الموار د الثقافيّة هي العناصر الأكثر تشاركاً لدى المواطنين على اختلاف مشاربهم، فهي مندمجة في مجريات حيواتهم اليوميّة وتتدخّل في تشكيل الهويّة الخاصّة للأفراد، وخرابها بفعل الحرب يؤثر على هويات الأفراد والجماعات ويجعلها تتلمس الحاجة إلى السلام .

٢ - التعامل مع الموارد الثقافية لا يحتاج، في معظم الأحيان، إلى خبرات استثنائيّة تملكها قلة أ و نخبة من الناس. فهي على تماس مباشر بحياتهم ويحسنون التعامل معها والاستفادة منها .

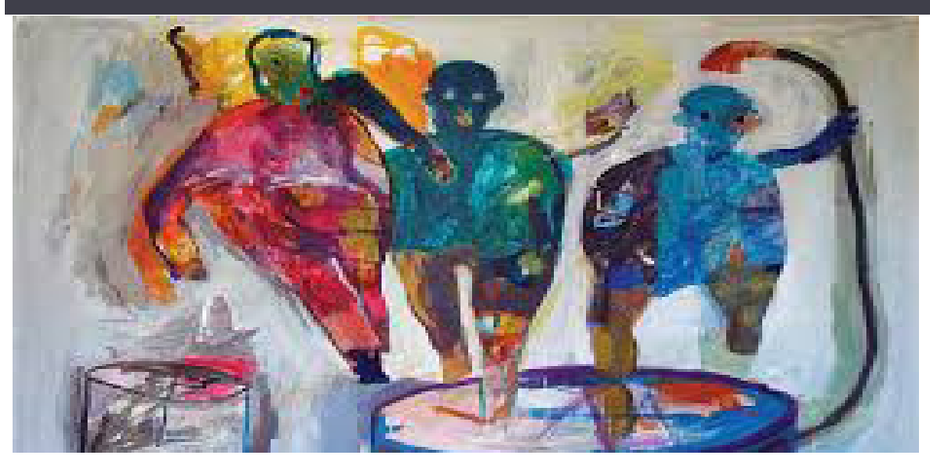

٣ - أهمّيّة الموار د الثقافيّة، في قسمه الأعظم، عابرة لجبهات الاقتتال وعليه فهي يمكن أن تقدم أرضاً مشتركة بين المتحاربين ليقوموا بأعمال مشتركة .

٤ - الموارد الثقافية الخاصّة بمنطقة ما يمكن أن تتكامل مع الموارد الخاصة بمنطقة أخرى ما يسمح بالتخطيط لبناء مشروعات جامعة .

٥ - الموارد الثقافيّة المشتركة جزء من الذاكرة الجمعية المشتركة بين المتحاربين وعلى الجميع العمل على صونها، على الأقل حتّى لا تتكرّر الحرب .

٦ - كثير من الموارد الثقافية اللامادّيّة ترتبط بقيم مشتركة بين المتحاربين، وكثير من الموارد الثقافية المادّيّة ترتبط بينهم بخبرات مشتركة .

٧ - عمليّة بناء الخارطة في مرحلتها الأولى هي بذاتها عملية بناء سلام لأنّ الجميع، من شتّى الجبهات المتحاربة، يعملون في مشروع مشترك هو توثيق موارد الفضاء الذي يعيشون فيه.

ورأى الباحث «حسّان عبّاس» في دراسته التي جاءت في أكثر من ثلاثة آلاف كلمة، أن بناء الخارطة الثقافيّة يضع بين أيدي العاملين على بناء السلام مادّة أوّليّة نشطة يمكنهم قولبتها وتفعيلها لتغدو منتِجة لمسارات تفاعليّة تساعد المواطنين على إدارة التصدّعات التي يعيشونها، وتجمعهم في مشروعات تمهد للتماسك الاجتماعيّ، وتساهم بشكل مباشر في تحقيق العدالة الانتقاليّة التي لا يمكن التفكير بتماسك اجتماعي في مجتمعات ما بعد الحروب الداخلية؛ إ لّا إذا جرى العمل على تحقيقها.

واختمت الدراسة التي صدرت عن مبادرة الإصلاح العربيّ بقولها أنّ الخارطة الثقافيّة تقدم أداة فعّالة لوضع البرامج التنمويّة المحلّيّة والجهويّة انطلاقا من الموارد الثقافيّة المتوفّرة. لكن أيّاً كانت أهداف الخارطة لا يمكن في الواقع بلوغها بدون المشاركة الفعالة للمجتمع المدنيّ في جميع مراحلها الثلاث، فهي في النهاية عمليّة يبنيها، ويشرف عليها، مواطنون فعالون في المجتمع المدن لصالح جميع المواطنين في المجتمع.

«*مبادرة الإصلاح العربيّ» مؤسّسة بحثيّة رائدة للبحوث الفكريّة المستقلّة، تأسّست عام ٢٠٠٥

إعداد فريق التحرير

من "جبهة النصرة" إلى هيئة "تحرير الشام"..
أبرز فصائل المعارضة "المعتدلة" التي قضت على وجودها القاعدة في سوريا

أعاد الاقتتال الذي نشب بين كبرى فصائل المعارضة السورية في محافظة إدلب، هيئة «تحرير الشام» من طرف، وحركة «أحرار الشام الإسلامية» من طرف مقابل.. إذن أعاد الاقتتال بين الطرفين للأذهان الهجمات التي نفذتها «جبهة النصرة» منذ عام ٢٠١٣ على مقرات لفصائل معارضة منضوية ضمن تشكيلات الجيش السوري الحر بذريعة حصولها على دعم من دول غربية لقتالها، وكان من بينها فصائل تتشارك معها الصفوف الأولى في المعارك المندلعة ضد قوات النظام السوري والميليشيات الأجنبية الممولة من إيران.

وسجل منذ نشأة جبهة النصرة قتالها لأكثر من ١٤ فصيل معارض تمكنت من السيطرة على مقراته، ومستودعات الذخيرة، صحيفة «كلنا سوريون» تقدم لقرائها في هذا الملف رصداً للفصائل التي قاتلتها النصرة منذ ظهورها حتى يومنا الحالي، وتنوه أنها في حال أغفلت ذكر إحدى الفصائل فأن ذلك عن غير قصد كون عملية شملت النصرة منذ تأسيسها إلى مرحلة اندماجها ضمن تشكيل هيئة «تحرير الشام».

من «جبهة النصرة» إلى هيئة «تحرير الشام»

تتفق أغلب المواد المؤرخة لنشأة «جبهة النصرة» في سوريا على أن بيانها التأسيس الصادر في الـ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢ يعتبر الظهور بشكل علني ضمن خارطة فصائل المعارضة التي بدأ تشكيلها بعد أشهر قليلة من تزايد رقعة المظاهرات السلمية ضد النظام السوري في كامل المدن السورية، وهي بظهورها بعد أقل من عام على بدء الاحتجاجات ضد رئيس النظام السوري بشار الأسد تبنت منهج العمل العسكري، ورفضت الانخراط بأي حل سياسي أو فعاليات مدنية تنادي بإسقاط النظام السوري.

في البيان التأسيسي قال القائد العام لجبهة النصرة إنه «»تعالت أصوات النداء لأهل الجهاد، فما كان منا إلا أن نلبي النداء ونعود لأهلنا وأرضنا من الشهور الأولى لاندلاع الثورة»، والجولاني بحسب المواد المتطرقة لتاريخ حياته كان معتقلًا في سجن «صيدنايا» العسكري بين أعوم ٢٠٠٨ – ٢٠١١، ومنذ الإعلان عن نشأتها شاركت الجبهة في معارك عديدة إلى جانب فصائل الجيش السوري الحر، وكان مقاتليها يتقدمون الصفوف الأولى في عمليات الاقتحام.

كان نيسان/ أبريل لعام ٢٠١٣ شهرًا مفصليًا في تاريخ الجبهة عندما أعلنت بيعتها لتنظيم القاعدة بقيادة أيمن الظواهري، لتصبح بذلك من التنظيمات المُدرجة على لائحة الإرهاب الدولي، إلى جانب تنظيم «الدولة الإسلامية»، وفصيل «جُند الأقصى» المنحل مطلع العام الفائت، ويسجل على النصرة التزامها سياسة الحياد في المعارك التي خاضتها فصائل الجيش السوري الحر ضد مقاتلي تنظيم الدولة نهاية ٢٠١٣ حتى أول شهرين لعام ٢٠١٤، وبعد انسحاب تنظيم الدولة من الجيب الشرقي لمدينة حلب، وبعض مدن وقرى الريف الحلبي وإدلب، بدأت النصرة حربها ضد طرفين، واحدة ضد قوات النظام والميليشيات الأجنبية، وأخرى مماثلة ضد فصائل الجيش السوري في مناطق سيطرة المعارضة، فيما سجل ندرة واسعة في اشتباكاتها مع تنظيم الدولة، ويحفظ لها عدم قتالها للتنظيم في مدينة الرقة الذي فضلت انسحابها بدلاً من التصادم معه.

ونهاية تموز/ يوليو ٢٠١٦، حيثُ كان النظام السوري بدأ يضيق من حصاره على الجيب الشرقي لمدينة حلب بحجة تواجد مقاتلي تنظيم القاعدة داخلها، وإفشال روسيا أي محاولة تهدئة بذريعة تواجد النصرة داخل المدينة، أعلن الجولاني في تسجيل مصور فك ارتباط الجبهة مع القاعدة، وتبديل اسمها لجبهة «فتح الشام»، وقال في البيان التأسيسي إن فك الارتباط جاء «تلبية لرغبة أهل الشام في دفع ذرائع المجتمع الدولي»، مضيفاً أن هذه الخطوة تهدف إلى تحقيق أهداف خمسة «العمل على إقامة دين الله، تحكيم شرعه، تحقيق العدل بين كل الناس، التوحد مع الفصائل المعارضة لرصّ صفوف المجاهدين، وتحرير أرض الشام والقضاء على النظام وأعوانه».

إلا أن الولايات المتحدة إلى جانب الدول الغربية بقيت على تصنيفها السابق لفتح الشام على أنها أحد أذرع تنظيم القاعدة في الشرق الأوسط، لتعلن الجبهة مجدداً مطلع العام الجاري عن اندماجها مع أربعة فصائل أخرى ضمن تشكيل هيئة «تحرير الشام»، وتعيين القائد العام الأسبق لحركة أحرار الشام أبو جابر الشيخ قائداً لها، وأبا محمد الجولاني قائداً عسكرياً، لتبدأ مرحلة جديدة من فصول اقتتال الفصائل، ويتحول الهدف من توحيدها إلى التنافس على الإدارة الذاتية لمحافظة إدلب، بهذا الإيجاز السريع قبل الحديث عن الفصائل التي حاربتها النصرة يمكننا التطرق لنشأتها، وما أعقبها من تبدلات في الأسماء.

فصائل حاربتها جبهة النصرة

١-جبهة ثوار سوريا

تأسست جبهة ثوار سوريا من تحالف لـ١٥ فصيل معارض نهاية عام ٢٠١٣ بقيادة جمال معروف، ولم يمضِ أكثر من عام على تشكيلها حتى اندلعت اشتباكات عنيفة بين جبهة ثوار سوريا، وجبهة النصرة، في البلدات التي تسيطر عليها الأولى في منطقة جبل الزاوية، وتضاربت الاتهامات بين الطرفين التي أججت من المعارك التي اندلعت ببينهما، وتمكنت النصرة بالاشتراك مع تنظيم «جُند الأقصى» من السيطرة على بلدات وقرى منطقة جبل الزاوية في ريف إدلب المعقل الأساسي لجبهة ثوار سوريا التي كانت تعتبر من أكثر الفصائل المعارضة المعتدلة، والمقربة من الدول الغربية بينها الولايات المتحدة.

وذكر موقع فرانس ٢٤ أن الأسباب التي أدت للاقتتال بين الطرفين يرجع سببها أنه «نجحت جبهة النصرة من خلال الدعوة أن تستميل عدداً من فصائل الجيش الحر إلى صفوفها في ريف إدلب عموماً، وعندما علم جمال معروف بالأمر، وخوفاً من سيطرة جبهة النصرة على مناطق أوسع على حساب فصيله، أمر بدخول البلدة وإلقاء القبض على من انضموا لجبهة النصرة. فدخلت قوة تابعة له وقامت بمداهمات واعتقالات عديدة»، وهو السبب الذي أجج بين الفصيلين لينتهي بانسحاب جمال معروف من معاقل نفوذ جبهة ثوار سوريا، ومن ثم عبوره الحدود إلى داخل الأراضي التركية.

٢-ألوية الأنصار

بعد شهر من انتهاء معارك النصرة في منطقة جبل الزاوية توجهت بالاشتراك مع جند الأقصى لقتال تشكيل ألوية الأنصار المنضوي ضمن غرفة «المك» التي تضم فصائل معارضة تتلقى دعماً من الدول الغربية، وأثناء الاشتباكات بين النصرة وجبهة ثوار سوريا أعلنت ألوية الأنصار على لسان قائدها مثقال العبدالله براءتها من جمال معروف، لكنها وبحسب موقع «المدن» الإلكتروني استمرت بإرسال المؤازرات بشكل سري لجبهة ثوار سوريا، وحين علمت النصرة بالأمر أعلنت الألوية القتال ضد جبهة النصرة وجند الأقصى، ونهاية تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٤ تمكن الفصيلان من السيطرة على مواقع الألوية في ريفي حماة الشمالي والشمال الغربي بشكل نهائي بعد قضائهم على تواجدها في قرية «العامرية» التي تعتبر معقلهم الرئيسي في المنطقة.

٣-جبهة حق المقاتلة

تعد جبهة «حق المقاتلة» إلى جانب كتيبة «عبد الرحمن الطويل» و»تجمع صقور الغاب» و»ألوية الأنصار» من بين الفصائل الذين عقدوا هدنة مع جبهة النصرة أثناء معاركها مع جبهة ثوار سوريا، قبل أن تتفرغ لقتالهم مع جند الأقصى بعد انتهاء معاركها في منطقة جبل الزاوية، ومطلع كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٤ استطاعت النصرة أن تسيطر على مقرات جبهة حق في ريف معرة النعمان الشرقي بريف إدلب، في إطار حربها التي أطلقت إلى جانب الجند بذريعة «ملاحقة المفسدين والعملاء للغرب».

٤-جبهة ثبات المقاتلة

فصيل عسكري معارض أعلن عن تشكيله منتصف آب/ أغسطس في مدينتي حماة وإدلب بعد اندماج ستة فصائل معارضة ضمن مسمى جبهة «ثبات المقاتلة»، وعند البحث عن الفصيل لم نجد أي معلومة تفيد بأسباب هجوم تنظيمي النصرة والجند على مقاره، إلا أن معظم المراجع أشارت أن النصرة تمكنت من السيطرة على مقراته في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥، أي بعد أقل من نصف عام على تشكيله.

٥-حركة حزم

منذ نهاية ٢٠١٤ بدأت النصرة بمهاجمة مقرات حركة «حزم» في ريف حلب الغربي، والذي تعتبر مدينة «الأتارب» معقلها الأبرز فيها، والحركة كانت حتى ما قبل اندماجها مع الجبهة الشامية من بين الفصائل المصنفة «معتدلة» لدى واشنطن، وتتلقى دعماً بالسلاح، وبالأخص الصواريخ المضادة للدروع من طراز «تاو»، ومطلع آذار/ مارس ٢٠١٤ تمكنت الجبهة من السيطرة على مقرات حزم غربي حلب منهية بذلك إحدى أبرز فصائل الجيش السوري الحر المدعومة بشكل مباشر من واشنطن، وهو السبب الذي دفع إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما لإعادة النظر في تسليح الفصائل المعتدلة خشية أن تصل الأسلحة المتطور ليد الفصائل المتشددة.

وزعمت النصرة أن هجومها على مقرات حزم كانت بسبب اعتقال الأخيرة عنصرين تابعين لها، وهو ما نفته الحركة، وأعلنت الحركة بعد هجوم النصرة والسيطرة على مقراتها حل نفسها، واندماج عناصرها لفصيلي «جيش المجاهدين»، و»الجبهة الشامية»، حيثُ قالت في بيان صادر عنها: «نظراً لما تمرّ به الساحة الشامية من تغول النظام المجرم وأذنابه على بلاد الشام عامة، وعلى حلب خاصة، وحقناً لدماء المجاهدين، تعلن حركة حزم عن حل نفسها واندماج جنودها بالجبهة الشامية، والله من وراء القصد».

٦-الفرقة ٣٠

تعد تجربة الفرقة ٣٠ من أكثر تجارب فصائل الجيش الحر إثارة في الحرب التي شنتها جبهة النصرة ضد الفرقة في مدينة «إعزاز» بريف حلب الشمالي، فالفرقة ٣٠ تلقت تدريباً من الولايات المتحدة الأمريكية على الحدود السورية مع تركيا، وبلغ عدد عناصر الفرقة الذين خضعوا للتدريبات ٥٤ عنصراً مع قائد الفرقة العقيد نديم الحسن، الذي اعتقل بعد أسبوعين من دخوله الأراضي السورية إلى جانب سبعة من عناصر الفرقة من قبل حاجز لجبهة النصرة.

وتمكنت النصرة من السيطرة على ما لا يقل عن ٢٥ سيارة رباعية الدفع، وأسلحة مع ذخيرة كانت حصلت عليهم الفرقة كدعم من واشنطن، وقالت النصرة في بيان صادر عنها إنه «ثبت لدى الجبهة حقيقة مشروعهم (الفرقة ٣٠)؛ من كونهم وكلاء لتمرير مشاريع ومصالح أمريكا في المنطقة وقتالهم لـ «التنظيمات الإرهابية»

على حد وصفهم»، وأضافت في بيانها «ظهر هذا جلياً من خلال التعاون والتنسيق الذي شهده الجميع بين الفرقة ٣٠ وطيران التحالف، والذي تدخل سريعاً للمؤازرة وقصف مواقع جبهة النصرة بأكثر من عشرة صواريخ خلفت عدداً من الشهداء والجرحى في صفوفنا».

من جبهة «فتح الشام إلى هيئة «تحرير الشام»

١-فصائل حلب وريفها

خلال فترة الحصار التي كان يفرضها النظام السوري والميليشيات الأجنبية على الجيب الشرقي لمدينة حلب، ومن ثم بعد فشل مكون «جيش الفتح» من كسر الحصار المفروض عليها، وما رافقها من تقدم النظام السوري في الأحياء الشرقية خلال شهرين تشرين الثاني/ نوفمبر الفائت شنت جبهة فتح الشام بالاشتراك مع كتائب «أبو عمارة»، وحركة «نور الدين الزنكي» هجوماً على مقر تجمع «فاستقم كما أمرت» في حلب، وعلل الزنكي وفتح الشام هجومهما على التجمع أنه جاء دعماً لكتائب أبي عمارة التي اتهم قائدها مهنا جفالة قائد التجمع صقر أبو قتيبة بزرع عبوة ناسفة في سيارته أسفرت عن فقدانه ساقيه، وبعد الهجوم على مقراته ذكرت وسائل إعلامية أن التجمع في حلب انضم لحركة أحرار الشام الإسلامية دون أن يصدر عنه تأكيد أو نفي.

ومع بدء الحديث عن اقتراب موعد انعقاد

اجتماع أستانا -١ في كانون الثاني/ يناير للعام الجاري، وإعلان فصائل المعارضة تشكيلها وفداً عسكرياً لحضور الاجتماع، شنت جبهة فتح الشام هجوماً على مقر «جيش المجاهدين» في ريف حلب، لتتوسع رقعة الهجوم وتشمل ألوية «صقور الشام»، تجمع «فاستقم كما أمرت»، «جيش الإسلام» قطاع إدلب، و»الجبهة الشامية» قطاع حلب الجنوبي، قبل أن تعلن جميع الفصائل المذكورة انضمامها رسمياً لحركة أحرار الشام سعياً منها للحفاظ على تواجدها.

وقالت فتح الشام في بيانها الذي علل هجومها على مقرات الفصائل إن « كثيراً من الفصائل التي تلهث وراء الدعم باسم حلب، وتعج مستودعاتها بالذخائر والمعدات، لم نر منهم موقفاً على قدر الحدث الذي كانت تمر به حلب»، مضيفةً أنها اتخذت هذه الخطوة لـ»تصحيح مسار الثورة»، فيما ذكر موقع «الدرر الشامية» أن «الجبهة استقدمت قاطع البادية، المعروف بغلوه»، وقامت بالتنسيق «مع جند الأقصى لسد الفراغ»، لافتاً أن «هذان التكتلان هما المسؤولان عن عملية اقتحام جبل الزاوية بريف إدلب، بالإضافة إلى ريف حلب الغربي».

وبعد أيام من إصدار أحرار الشام بياناً دعت جميع الفصائل لاجتماع من أجل الاتفاق على « تمثيل سياسي موحد، قيادة عسكرية موحدة، مرجعية شرعية موحدة، وقضاء موحد»، وإلا فإنها «ستبدأ في رد الصيال على دماء عناصرها ومقراتها». أعلنت جبهة فتح الشام اندماجها مع حركة «نور الدين الزنكي»، لواء «الحق»، جبهة «أنصار الدين»، وجيش «السنّة» عن تشكيلهم هيئة «تحرير الشام».

٢-جند الأقصى

تعتبر حركة أحرار الشام من أكثر الفصائل التي اشتبكت في أكثر من مرة مع تنظيم «جند الأقصى» الذي أظهرت اعترافات لعناصره في تسجيلات مصورة مبايعته لتنظيم الدولة الإسلامية، وقيامة بتسهيل مرور مقاتلي التنظيم في مناطق سيطرة فصائل المعارضة التي كانت مستهدفة من التنظيم بالعربات المفخخة، وبعد معارك عنيفة بين الأحرار والجند في تشرين الأول/ أكتوبر الفائت أعلنت فتح الشام قبولها انضمام الجند إلى تشكيلاتها، مؤكدة على لسان الناطق باسمها حسام الشافعي أن الشروط تضمنت «قبولهم بمحكمة شرعية، وتسليم المتورطين ومن ترفع دعوى ضدهم، وحل الجند واندماجهم كاملا داخل فتح الشام وتبني سياستها كاملة».

وبدا الأمر أن فتح الشام حفظت للجند مؤازرته لها في حربها ضد فصائل الجيش الحر المدعومة من أمريكا، فيما كان الجند قد أعلن انفصاله عن مكون «جيش الفتح» الذي فرض على الفصائل المنضوية ضمنه قتال تنظيم الدولة، والجند من الفصائل التي التزمت الحياد إلى جانب كتائب أبي عمار في قتال تنظيم الدولة عام ٢٠١٣.

وفي الـ٢٣ من كانون الثاني/ يناير أعلنت فتح الشام في بيان لها بعد تجدد الاشتباكات بين الأحرار والجند عدم تبعية الأخيرة لها بسبب عدم التزامها ببنود البيعة، ومنتصف شباط/ فبراير اندلعت اشتباكات بين تحرير الشام التي انضوت ضمنها فتح الشام من طرف، والجند من طرف ثاني قالت الهيئة إن سببها «تكفير» الجند «لعموم الفصائل المجاهدة في الساحة الشامية، ورفضهم النزول لمحكمة شرعية».

وكانت وكالة «سمارت» نقلت مطلع شباط/ فبراير على لسان إداري في «جند الأقصى» يعرف بأبي محمد السرميني إنه بعد خلافات بين قادة الجند تم تقسيمه لثلاث مجموعات «ستعمل مجموعة ضمن إدلب تحت اسم أنصار التركستان، وستكون بقيادة قائد جديد، ومجموعة في حماة تحت اسم لواء الأقصى، ومجموعة قررت الانضمام لهيئة فتح الشام»، وبعد معارك لما يقرب خمسة أيام توصلت تحرير الشام مع «لواء الأقصى» لاتفاق يفضي باستلامها مقراته في ريف إدلب، وخروج القيادات والمقاتلين مع عوائلهم إلى مناطق تنظيم الدولة في الرقة، لتسدل الستار على التنظيم الذي حارب جميع فصائل المعارضة السورية المنضوية ضمن الجيش السوري الحر.

٣-الفرقة ١٣

بدأت المواجهات بين «الفرقة ١٣» إحدى أبرز الفصائل المنضوية ضمن الجيش السوري الحر منذ عام ٢٠١٦ مع جبهة فتح الشام قبل أن يصدر قرار بحلها خلال العام الجاري، وتأسست الفرقة منتصف حزيران/ يونيو ٢٠١٣ بعد اندماج ١٣ فصيلاً معارضاً وفق ما يظهر تسجيل مصور على موقع «يوتيوب» يحمل عنوان «إدلب بيان تشكيل الفرقة ١٣ التابعة لهيئة أركان الجيش السوري الحر».

في منتصف آذار/ مارس ٢٠١٦ شنت فتح الشام عندما كان لا يزال اسمها «جبهة النصرة» هجوماً على مقرات الفرقة ١٣ في مدينة معرة النعمان المعقل الرئيسي لها، واستولت على أسلحة وذخيرة وآليات بحجة أن الفرقة هاجمت مقراتها في المدينة، ومنذ تلك الفترة كانت الجبهة وضعت الفرقة هدفاً قادماً لها أسوًة بباقي الفصائل التي حاربتها، وفي تموز/ يوليو من نفس العام أصدرت الفرقة بياناً طالبت الجبهة بإعادة «السلاح المسلوب» منها، وأن يحتكم الطرفان لـ»تطبيق شرع الله والامتثال للمحكمة الشرعية فيما يخص الخلاف» دون أن يصدر أي رد عن فتح الشام.

ومنتصف حزيران/ يونيو للعام الجاري بعد هجمات متفاوتة في التاريخ، اقتحمت هيئة «تحرير الشام» مدينة معرة النعمان المعقل الأبرز للفرقة ١٣، تخلل الاقتحام إطلاق الهيئة الرصاص الحي على المتظاهرين الذين خرجوا بدون أسلحة لصد هجومها، كون معظم قيادات الفرقة من أبناء المدينة، وقامت تحرير الشام أثناء اقتحامها للمدينة بمداهمة منزل القيادي في «جيش إدلب الحر» تيسير السماحي، وعمد عناصرها إلى قتله بعد اعتقاله مباشرة.

وبعد يوم واحد من هجوم تحرير الشام على مقرات الفرقة ١٣، اتفقت الهيئة مع جيش إدلب الحر على حل الفرقة في مدينة معرة النعمان، وتشكيل لجنة قضائية للنظر في الأحداث التي وقعت، وأن يضمن جيش إدلب تسليم المطلوبين للقضاء، وأن يتسلم جميع مقرات الفرقة باستثناء مبنى الحزب الذي قرر أن يتبع لإدارة الخدمات التابعة لتحرير الشام، فيما ردت الفرقة ١٣ عبر حسابها الرسمي على تويتر على ما تضمن الاتفاق بالقول: «حاولت قبلكم داعش، قتلت وظلمت وسجنت وتطاولت ثم لفظها الشعب وخرجت من معرة النعمان وإدلب مدحورة ذليلة، الثورة مستمرة ولا فناء لثائر»، وتابعت «المشكلة ليست بحل الفرقة ١٣ كما حصل مع عشرات الفصائل التي حاربتها النصرة، والسؤال: هل ستتوقف جرائم هتش (تحرير الشام) بعد حلها أم أنها مستمرة ومن القادم؟».

تنويه

إلى جانب الفصائل التي ذكرت ضمن التقرير، فأن وسائل إعلام محلية ذكرت أن النصرة ساهمت بالقضاء على فصائل «ألوية أبو العلمين» تأسس في أرياف حماة وإدلب عام ٢٠١٢ بقيادة سامي الرحمون، ومثله «اللواء السابع قوات خاصة» المشكل في ريف إدلب عام ٢٠١٤ بقيادة عبد الرحمن قنطار، حيثُ هاجمت النصرة مقارهم في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥، بالإضافة للفصائل الفلسطينية المتواجدة في مخيم «اليرموك» للاجئين الفلسطينيين جنوب دمشق بعد أن امتنعت عن مؤازرتهم في حربهم ضد تنظيم الدولة في منطقة الحجر الأسود الملاصقة للمخيم.

إعداد هشام محمود

من ذاكرة السجن... 1/ وعلى الباغي تدور الدوائر

فُتح الباب الحديدي المؤدي إلى الممر، تجاوز السجان مهجع النساء وهو ينظر إلى النوافذ المعلقة أعلى الجدار المقابل للمهاجع. وقف السجناء كل على فراشه. صرخ في أحدهم:

اثبت يا حقير..

تنبه سجناء الأمن العسكري في المهاجع التالية، فانتظموا على فرشهم ناظرين أمامهم.

شوف الحقير شوف، لا يقدر أن ينظر أمامه! كيف رح نحرر بلدنا إذا كنا لا نعرف أن ننظر أمامنا؟

تتوقف حدود سلطته عند المهجع السادس. فالمهاجع الأربعة التالية تخضع لسلطة الأمن السياسي. حيث يتجمع الشيوعيون في الثلاث الأخيرة. والمهجع السابع للمتفرقات، وأغلبهم من الميسورين الذين يراد ابتزازهم. أما سجناء الرقيب رأفت فهم إحترازيون، لم يثبت من خلال التحقيقات أي دليل حول انتماءهم أو علاقتهم بالإخوان المسلمين.

عند وصوله مشارف المهجع السابع تتبدى لديه أعراض الهبوط في المشاعر السلطوية.. فالشيوعيون ينظرون إليه شذراً. صرخ من حدود سلطته يريد إسماعهم:

حلب معروفة من يوم يومها قلعة الرجعية.

رد أبو أحمد منافقاً:

أنت الصادق يا سيدي حماه هي قلعة الرجعية.

وحماه أيضاً، كلهم أبناء زانية.

قال أبو أحمد، وكان قد عاش ردحاً من حياته في الساحل السوري، متماهياً باللهجة العلوية:

يا سيدي أهل حماه ناس عاطلين.

أبو أحمد وين وصلت بالبدلة، ما رح تخلص معك؟

والله يا سيدي انت سيد العارفين، شعار الخياط عندما يرسمه على دكانه، هو المقص. وأنت يا سيدي تقف فوق رؤوسنا عندما تعطينا إياه لخمس دقائق. وبعد ذلك نحتاجه وأنت غير موجود.

سأترك المقص عندك لأشوف ما هي حجتك.

على راسي وعيني يا سيدي.

أين صاحبك الرسام؟ إن لم تنجح معه اللوحة سأكسر له نضارته.

ابتسم شاب من الواقفين على فرشهم الناظرين أمامهم بسمة مقتضبة مضطربة، وقال:

سيكون كل شيء كما تحب وترضى سيدي. سنرى.. أنت اسمك نادر، أليس كذلك؟

قال أبو أحمد متدخلاً:

نعم يا سيدي هو ثبت القماش على الخشب، وبانتظار أدوات الرسم.

قال رأفت موجهاً كلامه لنادر:

- لو لم تتنجح معك اللوحة لأمدك فلق مرتب.

رد نادر موسعاً مساحة البسمة:

ستعجبك بإذن الله يا سيدي.

لنشوف.

أمرك سيدي.

قالها نادر مظهراً الثقة بالنفس.

كان أبو أحمد في الخامسة والثلاثين من عمره. وتوحي هيئته أنه تجاوز الأربعين. لم يوفق في دراسته فاتجه إلى الحرفة بعد أن أنهى المرحلة المتوسطة. تعلم الخياطة وافتتح دكاناً وتزوج وأنجب طفلاً وطفلة. ورد اسمه في التحقيقات على أن بعض الإخوان المسلمين يتواجدون في دكانه. تم الاحتفاظ به احترازياً وهو الآن في السنة الرابعة من سجنه. أما صديقه نادر فهو شاب جامعي في كلية العمارة لا يتجاوز الخامسة والعشرين. طويل القامة نحيل الهيئة، دقيق النظرة. علمته السنوات، في أقبية السجون، الصمت وقلة الحركة بعد أن كان مما ذكر عنه لاحقاً ممن عرفه في المرحلة الثانوية يتمتع بروح قيادية وقدرة على الجدل. اعتقل هو ووالده بعد هرب أخيه المطلوب. ثم أفرج عن والده بعد مقتل أخيه في أحد الكمائن.

قفل السجان رأفت راجعاً مشيراً للسجناء بالجلوس... أبطأ الخطى أما المهجع الثالث، اقترب من الحد الفاصل مع المهجع الثاني الذي تشغله النساء الإحترازيات. ألقى نظرة ثم عاد بنظره إلى المهجع الثالث آخذاً نفساً عميقاً، نافخاً في صدره. إحساسه بالسلطة يثير غرائزه وينشط لديه الخيال، مما يجعله يرى أن السجينات سيقبلن به ويسلمن أنفسهن له، فيقدم على إخراج إحداهن وسوقها إلى المفرزة تحت حجج شتى. وتدور الأحاديث أنه تلقى مرة صفعةً. أو أنه قضى وطره من إحداهن. كل هذا غير مؤكد. إنما الأمر المؤكد، أن مجرد تفكيره بهؤلاء النسوة يرفع منسوب الطاووسية في دمه.

أجال نظره بخيلاء، وصرخ في أحدهم:

أنت يا حمار.

أنا سيدي؟

لا اللي بعدك.

حاضر سيدي.

هات جملة مفيدة.

النظافة من الإيمان.. سيدي.

أنت رابع واحد... هات جملة مفيدة.

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.

أنت آخر واحد، أقرع الكلب، أبو راس كبير ... هات جملة مفيدة.

وعلى الباغي تدور الدوائر.

قال غير مصدق:

شو قلت ولك حيوان؟

وعلى الباغي تدور الدوائر.

أخرج من جيبه المفاتيح وأدار إحداها في القفل. شده لعنده وصفعه عدة صفعات لم يهتز لها الرأس الأبيض. تركه واقفاً واتجه إلى المفرزة عابراً مهجع النساء وهو يقول:

لأخلي الدنيا تدور فيك.

أحضر إطار سيارة مفرغ من هيكله الحديدي وعصا للضرب.. ضغط على رأس الأبرص لإدخاله في فتحة الإطار، ووضع الرأس مقابل الركبتين وقال:

سأجعلك تنبح مثل الكلب يا ابن القحبة.

امتص الأبرص ذو الرأس الكبير الضربات بصمت. لا صراخ ولا شتائم ولا استرحام، فالمدارك والحواس والقلب والعقل والإرادة والعزيمة في توليفة تحدٍ فريد. كانت كل التجارب والخبرات السابقة للتحدي الإيجابي تأتي بأوخم العواقب على المعتقلين الاحترازيين. فكم من مرة، ولاعتراضات تافهة من قبل السجناء، جاءت سيارات الأمن من المراكز مليئة بالعناصر المدججين بالهراوات والسياط ليسحقوهم سحقاً. وليظلوا شهوراً يداوون جراحهم من دون أدوية. وأمام هذا الجبروت الرهيب لسطوة السلطة لم يبق أمام السجين الاحترازي إلا أحد أمرين: الصبر ومداراة السجن والسجان ولو على حساب ما تتعرض له النفوس والأبدان من الإذلال والقهر والظلم، أو التحدي السلبي كهذا المستلق على ظهره ورجليه تتلاوحان في الهواء.

من محن السجن وكربه أن تكون مكرهاً على سماع صراخ الآخرين أثناء جلدهم، فالإنسان جبل على مكارم الحواس، أما هذه المرة كان الأمر مختلفاً. ففي الممر الطويل، بنوافذه العالية وقضبان الحديد على الطرف المقابل حيث يتكوم السجناء خلف تلك القضبان، لم تكن تسمع إلا اللسعات المسعورة وهي تهوي على القدمين مع لهاث السجان وشتائمه.

أنينك لا يكفيني. لن يخلصك من يدي إلا صراخك وبأعلى صوتك بأن حزب الإخوان المسلمين هو الباغي.

وعاود الضرب من جديد بعد توقف.

استجمع المستلق قواه وصرخ بصوت يعلو على صوت العصي:

وعلى الباغي تدور الدوائر..

محمد أسامة شاكر

كي لا ننسى

مجزرة الكيماوي في الغوطة

استهدفت المدفعية الحربية للنظام السوري، مناطق في الغوطة شرق العاصمة دمشق بتاريخ ٢١ آب/أغسطس ٢٠١٣، بصواريخ أرض ـ أرض محملة بغاز السارين المحرم دولياً، إذ وفقاً لتقارير إعلامية، فإن قوات اللواء ١٥٥ التابعة لجيش النظام السوري والمتمركز بمنطقة القلمون؛

قامت بإطلاق ١٦ صاروخًا بدءًا من الساعة الثانية والنصف فجرًا باتجاه منطقة الغوطة الشرقية، ثم صواريخ أخرى باتجاه مدينة زملكا وبلدة عين ترما ومدينة المعضمية بمنطقة الغوطة الغربية. وتتميز الصواريخ التي تحمل رؤوسا كيميائية (والمستعملة في الهجوم) بأنها لا تحدث صوتا بعد انفجارها، ولا تخلف أضرارا على المباني، بل تخنق الأنفاس وتدمر الأعصاب.

هذا الهجوم باستخدام الأسلحة الكيماوية، ذهب ضحيته المئات من سكان المنطقة نتيجة استنشاقهم لغاز الأعصاب القاتل.

وتباينت الروايات حول عدد ضحايا مجزرة فالمعارضة السورية أعلنت عن ١٤٠٠ ضحية، وهو يقارب الرقم الذي أعلنه تقرير للمخابرات الأميركية، فيما منظمة أطباء بلا حدود أعلنت رقم ٣٥٥ ضحية من بين قرابة ٣٦٠٠ حالة تم نقلها إلى المستشفيات.

بينما الشبكة السورية لحقوق الإنسان أشارت إلى أن عدد الضحايا في الهجوم على الغوطة بلغ ١١٢٧ قتيلا ٢٠١ منهم من السيدات و١٠٧ من الأطفال.

وكان النظام السوري قد نفى نفياً قاطعاً أن يكون مسؤولاً عن هذه المجزرة، بل سارع باتهام المعارضة السورية المسلحة بهذا الهجوم، مستنداً على أن القوات الحكومية قد عثرت على أسلحة كيميائية في أنفاق تحت سيطرة المعارضة المسلحة في ضاحية جوبر.

بينما تقرير الاستخبارات الفرنسية فقد حمّل المسؤولة كاملة لقوات النظام السوري، ومثله فعلت الاستخبارات الألمانية والتي رجحت أن يكون الجيش السوري قد استخدم السلاح الكيميائي بدون علم الرئيس بشار الأسد أو تفويضه.

أما منظمة هيومن رايتس ووتش أكدت حصولها على أدلة تؤكد مسؤولية قوات النظام السوري عن هذه المجزرة، كما أكد محققون أمميون أن الأسلحة الكيميائية التي استعملت في منطقة الغوطة، خرجت من مخازن جيش النظام السوري.

أما تقرير لجنة التفتيش التابعة للأمم المتحدة الذي صدر في ١٦ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٣ فلم يحمل مسؤولية الهجوم لأي جهة أو طرف، واكتفى بوصف الهجوم بأنه جريمة خطيرة ويجب «تقديم المسؤولين عنها للعدالة في أقرب وقت ممكن» مشيرا إلى أنه تم بواسطة صواريخ أرض أرض، أطلقت بين الثانية والخامسة صباحا مما جعل حصيلة الضحايا كبيرة.

جدير بالذكر أن المجزرة تم ارتكابها بعد مرور ٣ أيام فقط على وصول بعثة المفتشين الدوليين إلى العاصمة دمشق للتحقيق في المجازر المرتكبة ورفع الواقع على الأرض.

إعداد فريق التحرير

11 انتهاكاً وقعت على الإعلاميين السوريين في شهر تموز يوثقها تقرير المركز السوري للحريات الصحفية

يواظب المركز السوري للحريات الصحفية في رابطة الصحفيين السوريين توثيق الانتهاكات الواقعة على الإعلام والإعلاميين السوريين، إذ أصدر المركز تقريره الشهري عن شهر تموز ٢٠١٧ ووثق خلاله وقوع ١١ انتهاكاً بحق الإعلام في سوريا خلال هذا الشهر، مسجلاً نسبة انخفاض كبيرة مقارنة مع عدد الانتهاكات التي ارتكبت في الأشهر الأربعة الأولى من العام الجاري، وعزا التقرير هذا الانخفاض «نتيجة لاستمرار انخفاض وتيرة الأعمال العدائية ووقف القصف في أغلب المناطق داخل سوريا».

وقد شهد هذا الشهر مقتل إعلاميين إثنين، إذ وثق التقرير مقتل الناشط الإعلامي «مصعب وليد العزو»، برصاص عناصر تابعين لـ«هيئة تحرير الشام» في مدينة سراقب بريف إدلب، بتاريخ ١٩ تموز ٢٠١٧، إثر أطلاق النار على المتظاهرين من المدنيين المطالبين بخروجهم من المدينة، ومصعب العزو ناشط إعلامي مستقل عمل على تغطية المظاهرات في مدينته التي ولد فيها في العام ١٩٧٢، وهو متزوج ولديه خمسة أطفال.

كما وثق التقرير مقتل مراسل قناة «روسيا اليوم» الناطقة بالعربية «خالد الخطيب»، يوم ٣٠ تموز ٢٠١٧جراء قصف لتنظيم «الدولة» استهدف محيط مدينة السخنة في محافظة حمص، والخطيب صحفي مستقل عمل مراسلاً لأكثر من وسيلة إعلامية موالية للنظام السوري، وهو من مواليد مدينة السلمية في عام ١٩٩٢.

ليرتفع بذلك عدد الإعلاميين الذين وثّق المركز مقتلهم منذ انطلاق الثورة السورية في آذار / مارس ٢٠١١ إلى ٤١١ إعلامياً.

كما وثق التقرير إصابة إعلاميين سوريين أثناء قيامهما بعملهما، حيث أصيب الإعلامي والمصور عبد الرحمن إبراهيم يوم ١٠ تموز ٢٠١٧ إثر استهدافه من قناص جيش النظام في محيط قرية الحولة بريف حمص الشمالي، وعبد الرحمن يعمل مصوراً مع قناة الجزيرة الإخبارية، كما أصيب الإعلامي والمصور معتز يعقوب المصور في قناة «روسيا اليوم» الناطقة بالعربية، يوم ٣٠ تموز ٢٠١٧جراء قصف لتنظيم «الدولة» استهدف محيط مدينة السخنة في محافظة حمص.

كما وثق التقرير ثلاث حالات لاعتقال إعلاميين، إثنتين في إدلب والثالثة في الدرباسية، حيث اعتقلت قوات هيئة تحرير الشام الناشط الإعلامي عبد الغني العريان، مراسل وكالة الأناضول التركية، وعدداً من المواقع الإخبارية، من منزله في مدينة سلقين بتاريخ ٢٠ تموز ٢٠١٧ لتطلق سراحه بعد ثلاثة أيام دون توضيح الأسباب، كما اختطفت عناصر من هيئة تحرير الشام الناشط الإعلامي خلف جمعة مراسل راديو الكل والمدير التنفيذي لمركز زين الإعلامي بتاريخ ٢٠ تموز ٢٠١٧ لتطلق سراحه بعد ثلاثة أيام دون توضيح الأسباب، وحالة الاعتقال الثالثة كانت من نصيب الصحفي حجي المسواط من قرية تل تشرين التابعة لناحية الدرباسية في ريف الحسكة من قبل قوات الآسايش بحجة ممارسة العمل الصحفي دون الحصول على ترخيص رسمي. والمسواط يعمل مديراً لمكتب جريدة الفرات الرسمية في الحسكة، والتي تصدر عن مؤسسة الوحدة الحكومية.

كما وثق التقرير محاولة اعتقال الناشط الإعلامي والمصور عمار العبدو من قبل قوة أمنية تابعة لهيئة تحرير الشام يوم ٢٠ تموز ٢٠١٧ إلا أن العبدو استطاع الهرب من نافذة المنزل لحظة اقتحامه وفر عبر الأراضي الزراعية إلى مكان آمن، إلا أن القوة صادرت كل معداته التي يعمل عليها.

كما وثق التقرير حالتين من حالات الاعتداء بالضرب على الإعلاميين، حيث تعرض الناشط الإعلامي محمد العوض للضرب من قبل عناصر هيئة تحرير الشام في مدينة سراقب، والعوض يعمل كناشط إعلامي مع جبهة ثوار سراقب، كما وثق التقرير الحادثة المضحكة بتعرض مراسلة قناة سما الفضائية الميعة كنانة علوش للضرب والإهانة من قبل قوات الدفاع الوطني وعلى الهواء مباشرة فيما كانت تبث تقريراً مباشراً عن الانفجار الحاصل في ملني قيادة حزب البعث في حلب، وتم منعها من متابعة البث.

كما وثق التقرير تعرض المبنى الرئيسي لمركز دمشق الإعلامي في بلدة عين ترما للقصف من قبل طيران النظام الحربي يوم ١٣ تموز ٢٠١٧مما تسبب بأضرار مادية جسيمة في المبنى وتخريب كل المعدات الموجودة فيه.

ورصد التقرير أن «هيئة تحرير الشام» تصدرت قائمة المنتهكين لأول مرة في شهر تموز خلافاً للأشهر الماضية، بارتكابها ٥ انتهاكات، بينما تراجع النظام السوري للمركز الثاني بمسؤوليته عن ٣ انتهاكات، وكان تنظيم «الدولة» مسؤولاً عن انتهاكين، في حين ارتكب «حزب الاتحاد الديمقراطي» (PYD) انتهاكاً واحداً.

وتوزعت الانتهاكات جغرافياً بين عدة محافظات سوريّة، حيث شهدت محافظة إدلب وقوع ٥ انتهاكات فيها، و٣ في محافظة حمص، في حين ارتكب انتهاك واحد في كل من محافظات

حلب وريف دمشق والحسكة، بحسب التقرير.

ودعا المركز السوري للحريات الصحفية في رابطة الصحفيين السوريين إلى احترام حرية الصحافة وضمان سلامة العاملين في الحقل الإعلامي ومحاسبة المسؤولين عن الانتهاكات، وطالب الأطراف الفاعلة في سوريا والأطراف الدولية المعنية بتفعيل القوانين الدولية الخاصة بحماية الإعلاميين والدفاع عنهم وعن حرية الصحافة وحق نقل المعلومات في سوريا.

وأوصى المركز في ختام تقريره باحترام نص المادة ١٩ من الإعلان العالمي لحقوق الانسان، التي تنص أن «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار، وتلقيها وإذاعتها بأي وسيلة كانت، دون تقيد بالحدود والجغرافيا».

إعداد فريق التحرير

حكايات من سورية

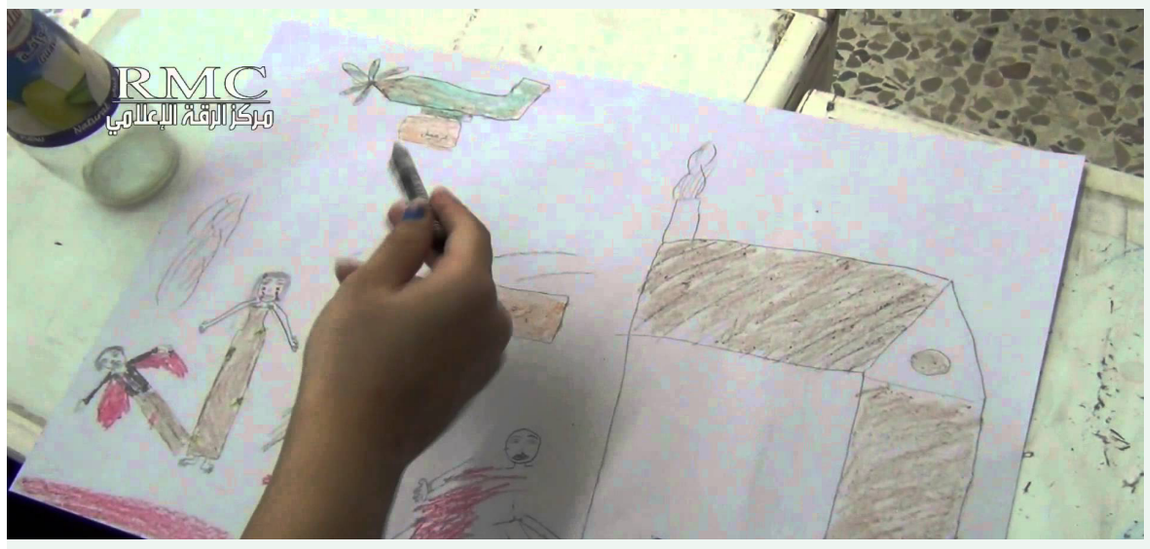

حكاياتنا في سورية لا تنتهي ومأساتنا تتفاقم كلّ يوم بأشكال وقصص جديدة، النزوح والهجرة دمّرا بنية الأسر وفكّكا العائلات، وكان لهما الأثر الأكبر والمدمّر على الأطفال الذين عايشوا سنين الحرب هذه.

وسنحكي اليوم عن قصّة نادٍ صيفيّ متواضع ضمّ نحو خمسين طفلاً من الأسر النازحة إلى إحدى مناطق ريف دمشق، وبرغم أنّ هذا النادي يعتبر جيّداً بتقديم خدماته إلى الأطفال وتغلب السمة التطوّعيّة على كادره، إلّا أنّ الأطفال المسجّلين به، وربّما من باب الصدفة أو لأن الواقع السوريّ أصبح كلّه مأساويّاً، كان لغالبيّهم قصص موجعة تربك الكادر وتجعله يقف عاجزاً أمام ما يراه ويسمعه من أطفال لا يتجاوز أكبرهم سنّاً الثانية عشرة.

في إحدى جلسات الرسم الحرّ، طُلب من جميع الأطفال أن يرسموا ما يخطر على بالهم ويلوّنوه، إحدى الطفلات التي لم تتجاوز عامها الثامن رسمت سفينة وطفلاً غارقاً وبحراً أحمر اللون، وعندما وضحت لها المشرفة أنّ البحر لونه أزرق أجابتها بحسم: لا ... البحر لونه أحمر...

وفي جلسة أخرى، تمّ الطلب منهم أن يتحدّثوا عن أكثر شيء يحبّونه، وكانت اللحمة والفواكه وطبخة المحاشي هي المشترك بين أجوبة الأطفال، وكلّنا نعرف أنّ بيوت النازحين وبسبب غلاء الأسعار لا تحوي هذه الأشياء وبالتالي أصبحت حلماً للأطفال.

أيضاً، فتاة أخرى لم تتجاوز الثامنة قضت الأسبوع الأوّل في النادي وهي ترفض اللعب مع باقي الأطفال وتتعامل بعدوانيّة شديدة مع الجميع، ومن يحاول التقرّب منها تقوم بضربه أو إيذائه. استُخدمت كلّ أنواع النشاطات التفاعليّة معها في محاولة لدمجها مع باقي الأطفال وكان تجاوبها بطيئاً جدّاً، وعندما استطاعت المشرفة أن تلتقي بوالدتها، وبعد محاولات عديدة معها حكت قصّتها والتي هي للأسف مشابهة لقصص كثيرة.

والد الفتاة وأخواها الكبيران مفقودان منذ سنتين والمسؤول عن الأسرة هو الابن الذي عمره الآن خمسة عشر عاماً ولديه هذه الأخت وأخوان آخران أصغر منها، ترك المدرسة ويعمل طوال النهار أجيراً بمهن متعدّدة، وعندما يعود مساءً متعباً يقوم بضرب أخته لأنّها البنت التي يجب أن ترعى أخويها الصغيرين، وتقوم بأعمال المنزل وتساعد أمّها التي تقوم هي الأخرى بالحياكة في منزلها لمساعدة ابنها في مصروف البيت.

الأمّ تعرف أنّ ابنها يسيء معاملة أخته، ولكنّها لا تستطيع الاعتراف بهذا ولا تستطيع مجابهته أو إيقافه فهو رجل البيت والمنقذ للأسرة من الجوع والتشرّد، وطبعاً هو أيضاً فقد طفولته مبكّراً جدّاً وتعرّض لعنف الشارع وقسوة العمل الشاقّ ولا يجد متنفساً لغضبه إلّا بضرب أخته.

ثلاث فتيات في عمر الحادية عشرة لا يعرفن حتّى كتابه أسمائهنّ، قضين أربع سنوات من الحصار في ريف حلب حيث لا توجد دراسة ولا مدارس، أتين ولديهنّ رغبة واضحة في التعلّم وتعويض ما فاتهنّ، ولكنّ الحصّة المفضّلة لديهنّ هي قراءة القصص مثل سندريلا وبياض الثلج، حيث الاندهاش يكسو وجوهنّ البريئة وهن يرين الصور الملوّنة للأميرات والفساتين المزركشة. لا يتذكّرن أيّة قصص طفوليّة شاهدوها أو سمعوها سابقاً، ولم يشاهدن حتّى التلفزيون حيث الكهرباء مفقودة والسنوات الستّ السابقة هي سنوات تشكّل الوعي والمعرفة للطفل ولا يوجد في ذاكرتهنّ غير الخوف والظلمة والقصص المرعبة.

طفل آخر في عامه السابع أتى في أحد الأيّام وآثار الحروق على يده، وعندما سألته المشرفة عن الحرق أجاب ببراءة: «عذّبت ماما مبارح حرقتني بالخاشوقة»... وعندما شاهد علامات الرعب والاستغراب على وجهها قال لها» «لا تخافي أنا متعوّد على ماما لما بتعصّب»... وطبعاً والدته تشتغل في تنظيف البيوت لإعالة عائلتها لأنّ الأب مفقود، وعندما تعود إلى بيتها مساءً مرهقة من تعب النهار لا تجد غير أطفالها مخرجاً لغضبها وتعبها بهم.

طفل آخر في الثانية عشرة من عمره رسم حديقة تعبيراً عن المكان الذي يكرهه، وكان جوابه أنّه يكره الحدائق لأنّه نام بها ليال كثيرة أثناء النزوح وقبل أن تستقرّ عائلته في هذا المكان، وطبعاً في بيت على الهيكل.

طفلتان أختان رسمتا البيت ذاته الذي يكرهانه وكان هو بيت عمّهم الذي نزحت عائلتهما إليه بعد قصف بيتهم ولما طال بهم الوقت كان العم يضربهما لأنّه هو الأخر ضاق بكثرة الأولاد في بيت لا يسع عائلته لوحدها فكيف مع باقي أطفال العائلة.

طفلة في الثانية عشرة من عمرها ترفض أن تشارك بالنشاطات الجماعيّة وتفضل أن تبقى وحيدة منزوية وشاردة برغم إصرارها على الدراسة والتعلّم، وبعد الحديث المطوّل معها من قبل المشرفة المختصّة استطاعت أن تكتشف أنّها تعرّضت للتحرش والضرب من أحد أقاربها ممّا جعلها تفقد الثقة بالجميع.

أغلبهنّ صبيان وبنات يصمن في رمضان وبرغم الحرارة والتعب يواصلن الصيام. واللافت للانتباه أنّ الصبيان يرفضون الألعاب المشتركة مع البنات وخاصّة الرياضية والبنات يخجلن ويبتعدن، وتمّ بذل مجهود كبير لخلق ألعاب مشتركة محبّبة للأطفال لتعويدهم على اللعب معاً بغضّ النظر عن الجنس.

الفقر الشديد والمدقع ينعكس جليّاً في ثياب الأطفال الرثّة وأحذيتهنّ المهترئة لذلك نرى أنّ الانطوائيّة والخجل هما الصفة المشتركة لمعظم الطفلات. والعنف والضرب هما الصفة المشتركة لمعظم الأطفال.

أمّهاتهنّ أيضاً، ترتسم على ملامحهنّ خيوط التعب والإرهاق وتحفر أخاديدها في جباههنّ وعيونهنّ، كلّ منهنّ لها قصّة موجعة، لا توجد عائلة لم تفقد أحداً من أفرادها، كلّهنّ فقدن الزوج أو الأخ أو الابن وأحياناً أكثر من فرد في العائلة نفسها مفقود أو معتقل أو مهاجر، يواجهن المجتمع الجديد والبيئة الغريبة عن بيئتهنّ بكثير من التحفّظ وأحياناً العدائيّة، كثير من الوقت والجهد يُبذل لنيل ثقتهنّ، لكنهنّ عندما يثقن يبحن بأسرارهنّ ويحكين ببساطة عمّا شاهدوه وما مرّ بهم، معظمهنّ أمّيات لا يعرفن القراءة أو الكتابة ولم يعملن سابقاً، وقد فقدن تحويشة العمر في سنوات النزوح لذلك لا يجدن أمامهنّ من عمل غير تنظيف البيوت والخياطة وأعمال الصوف والكروشيه، وكلّ هذه الأعمال تستهلك الكثير من الوقت والجهد ومردودها الماليّ قليل، إحداهنّ لجأت إلى الدعارة لكسب رزقها وطبعاً لم تفصح عن هذا، لكنّ كثيراً من المؤشّرات تدلّ على عملها الجديد.

هذه القصص مجرّد عيّنة من مجتمع سوريّ ينوء بقصصه وهمومه ويحتاج للكثير الكثير من العمل والدعم من قبل جميع مؤسّسات ومنظّمات المجتمع المدنيّ العاملة في البلد حتّى لا تتفاقم الأزمة إلى حدّ لا يمكن معه الإصلاح، وحتّى لا يتحوّل هؤلاء الأطفال إلى مجرمين في المستقبل.

عن "شبكة المرأة السوريّة"

سلمى الدمشقي

حكاية لاجئة... 1/ ما بعد مخاطر الرحلة

أخيراً وطأت قدماها الأراضي الألمانية بعد رحلة شاقة وعذابات صامته، كانت بمنتهى السعادة والدهشة. ما أجملها من بلد! طبيعة، عمران، حضارة، ثقافة، حرية، مساواة ووو.

صوّرت الشجر والناس والحجر، المحطة والقطار وتصورت سيلفي مع اللوحات الطرقية وأمام المقاهي والمتاجر والبيوت. كان كل شيء جميل، بل أجمل مما تخيلت، يبدو أن القدر ابتسم أخيراً، وأسدل الستار عمّا مضى من عمر توأمه الخوف والقلق؛

إنها الحياة تفتح ذراعيها وتحتضنها بأمان وحب قائلة: هيا يا صغيرتي استمتعي بعمرك ووقتك، ستتعلمين وتعملين، سيكون لك مكان آمن ومستقبل هانئ، ضمان اجتماعي وصحي، سكن دافئ، لن تخشيَ أن تطرد ي أو يتحرش بك رئيسك في العمل، ستجدين الفرصة التي تستحقين وأجراً عادلاً، ثم.. قليل من الوقت والصبر وستلتحق العائلة بك؛ هو حديث النفس ولعله أضغاث أحلام مسافر أغمض عيناه قليلاً وسرح بخيالاته، لترتسم كل الصور البراقة التي نقلها مهاجرون قدامى إلى القارة العجوز.

إنه مكبر الصوت يعلن عن المحطة التالية، هي المحطة التي عليها أن تنزل وتتوجه إلى مركز اللجوء. ساعدها معرفتها اللغة الإنكليزية على التنقل بيسر.

وصلت بعد منتصف النهار، كانت الرحلة طويلة من جنوب ألمانيا إلى شمالها، عند مركز اللجوء كان هناك طابور من المنتظرين؛ «إنه أمر عادي ويعبر عن نظام وانضباط المكان، أيضاً بسبب عدد الموجودين، لعلهم خمسين عائلة، كل شيئ مرتب، قليل من الانتظار لا ضير فيه».

يحصل كل من المنتظرين على رقم ويعاود الانتظار، يفترشون الأرض يتعرفون على بعض، الأطفال يتراكضون، أم تغير حفاضات طفلتها، أناس من كل الألوان؛ طال الانتظار وبرد الجو مع مطر خفيف ما لبث أن اشتد، من الجيد وجود خيمة واسعة بهكذا أجواء، نام البعض، والبعض يتململ والأطفال يلعبون ويحصلون على بعض السكاكر لتسكين الجوع. تأخر الوقت وانتهى دوام الموظفين، طلبوا من الجميع الدخول إلى ساحة المركز وتوزيعهم إلى مجموعات ليتم نقلهم تلك الليلة إلى مكان يبيتون فيه، ليصار في اليوم التالي استكمال إجراءات استقبالهم.

وصلت فانات كبيرة وبعض التكاسي ونقل الجميع بموجب قوائم اسمية ليبيتوا ليلتهم ومن ثم يتم تسجيلهم في تلك المنطقة.

لا يعلم أي منهم إلى أين يتجه، كان البعض أثناء الانتظار يتحدث عن صالات وخيام، لكن الحديث كان غير منطقي. عبر الفان المدينة وصار في الضواحي، مر على عدة معسكرات اعتذر كل منها عن استقبال الفان، كانت فعلا خيام، ربما كان الكمب الخامس فتح بوابته وولجها الفان بما يحمل من هامات مغبرة تعبة، أرهقها السفر والانتظار والجوع والسهر؛ تفضلوا هنا ستمضون ليلتكم وغدا صباحا سيأتي باص وينقلكم إلى المركز، قدم مشرف الكامب شرشفين استخدام مرة واحدة وكيس ورق يحوي علبة مرتديلا صغيرة وشريحة خبز وحبة فواكه وعلبة ماء، فتح «السكيوريتي» باب الخيمة، كانت عبارة عن مكان واسع جدا، يحوي - وفق حديث الموظف - على ٢٠٠ سرير، رجال ونساء وأطفال ورضع، سلل كبيرة للزبالة فيها بقايا طعام وقشور وحفاضات، نفَس ٢٠٠ شخص، كان الوضع صادم.

صباح اليوم التالي أتى باص ونقل ضيوف المساء إلى مركز اللجوء ليبدأ يوم آخر من الانتظار على أمل أن يحظى كل من الموجودين على سرير وسقف.

خلال يوم طويل ووحدة يجد المرء نفسه يتجاذب أطراف الحديث من البعض ممن يتحدث لغته؛ هؤلاء أربع شبان خرج ثلاثة منهم من تركيا إلى اليونان سباحة وأتموا طريقهم براً إلى ألمانيا، صبية خرجت من دمشق مع كروب، كل توجه إلى دولة وهي قصدت ألمانيا تريد لم شمل أسرتها، عائلة كبيرة، أولاد وأحفاد وأخوة.... كل يروى مغامرته حتى وصوله ذاك المكان، ومنهم كثيرون جاؤوا بمفردهم خوفاً على أسرهم من الغرق والطريق أو لضيق ذات اليد وعدم توفر مصاريف السفر، يمنون أنفسهم بلم شمل العائلة، أيضاً قاصرون بأعمار مختلفة، روج المهربون والسباقون في السفر واللجوء بأن الأطفال يحصلون على الإقامة بشكل سريع ويمكنهم طلب ذويهم.

أحاديث ومغامرات وقصص غرق ربما تعرض لها أغلب من وصل، استعراضات ومبالغات ووو.

قبيل المساء تم توزيع الموجودين، العائلات بداية ثم الرجال والنساء بمفردهم ونقل الجميع بباصات إلى أماكن يجهلونها، وحيث بقوا تقريباً يومين مجتمعين، وباعتبار الإنسان كائن اجتماعي فقد تبادل البعض أرقام التواصل وتابعوا أخبار بعضهم. منهم كان نصيبه غرفة مشتركة في كمب كبير ومنهم سرير طوي في صالة أو خيمة ضخمة، أو صغيرة تتسع إلى ١٤ سرير، لا يوجد خيار آخر.

كانت عشرات الباصات يتسع كل منها خمسين راكباً، يتسامرون، يضحكون، وآخرون واجمون أو نيام. إلى أين نتجه، ثانية إلى الخيام! لاا!.. العَودُ أحمد.

الباص يبتعد عن المدينة وضواحيها، هذا ينبئ بالخير، فذاك المكان كان يبعد نص ساعة فقط، مضى حوالي ساعتين، الباص يهدئ سرعته، يبدو وصل إلى غايته. عدد كبير من الأبنية وسط غابة، محاطين بسور عالي، هذا ما رصدته العيون المرهقة.

الموظف المكلف باستقبال الوافدين كان ودوداً؛ بشكل العام الجميع، من مختلف الجنسيات كانوا لطيفين ومبتسمين، لكن المترجمين لم يكونوا كذلك.

استلم كل فرد أدوات خاصة، شرشف ولحاف ومخدة ومنشفة وكوب بلاستيك وملعقة وشوكة وسكينة وليتر ماء وكيس من الورق فيه صمنة متوسطة الحجم، باكت مرتديلا١٥٠غ، قطعة شوكولاته، تفاحة، حبة بندورة صغيرة، ظرفان شاي وأربعة سكر - تبين فيما بعد أنها وجبة العشاء - قرأ المشرف جملة ملاحظات تتعلق بمواعيد الأكل ومكانه وجرس الإنذار ومواعيد الغسيل، ثم رافقهن إلى غرفتهن، كن ست نسوة من جنسيات مختلفة، لم يكن الوقت مناسب للتعارف أو التعرف على المكان، نام الجميع وكانت الساعة الثامنة مساءاً.

إنها الساعة الخامسة والنصف صباحاً، برودة لطيفة تتسرب من النوافذ، تصل معها أصوات حركة في الخارج مع كلمة «مورغن» يبدو أنها صباح الخير، إنه وقت تبديل الورديات للسكيوريتي «رجال ونساء من الأمن الخاص يعملون طيلة ٢٤ساعة»، متواجدين في جميع الأبنية، غرفة الغسيل، صالة الأكل، مبنى الإدارة، المستوصف والبوابة.

المباني مرقمة حتى العشرين، إذن يوجد عشرين بناية كل منها ثلاثة طوابق بكل طابق ١٧ غرفة ومطبخ وحمامات ودورات مياه للرجال وأخرى للنساء.

هديل سمان

الزراعة ومعوّقاتها في ريف حلب الشمالي

تقارب مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، في منطقة (درع الفرات) بريف حلب الشمالي (الممتدة من إعزاز غربًا إلى جرابلس شرقًا، ومن الحدود التركية شمالًا إلى مدينة الباب ومارع جنوبًا) نحو ١٠٠ ألف هكتار، ٧٥ بالمئة منها تُزرع بالحبوب (حُمّص، عدس، قمح، شعير)، فيما ٢٥ بالمئة للخضروات التي تزرع، قرب مصادر المياه في الأراضي الأكثر خصوبة.

شَهِدَ القِطاع الزراعي في سورية ـ كغيره من القطاعات ـ تراجعًا كبيرًا؛ بسبب العمليات العسكرية الدائرة منذ عام ٢٠١١، ويعود التراجع في ريف حلب الشمالي إلى مجموعة عوامل، أبرزها:
١/ تردي الوضع الأمني وصعوبة المواصلات، وعمليات النقل بين المناطق وعزلها؛ بسبب سيطرة قوى مختلفة تحد من سهولة نقل مستلزمات العمليّة الزراعيّة والمنتجات، بين مواقع الإنتاج وأسواق الاستهلاك في مناطق أخرى.

٢/ فقدان مصادر الطاقة (الديزل – الكهرباء) التي يعتمد عليها المزارعون، لضَخ المياه الجوفيّة للري، واعتمادهم على الديزل المكرر بطريقة بدائيّة؛ ما يسبب أعطالًا متكررة بالمضخات ويزيد تكاليف الصيانة.

٣/ غياب الجهات المعنيّة بالعمل الزراعي.

٤/ توجه الغالبيّة من أبناء المنطقة إلى اقتصاد الحرب، وترك العمل الزراعي لصعوبته وقلة مردوده.

٥/ الارتفاع الكبير بأسعار البذور والأدوية ومستلزمات الإنتاج؛ الأمر الذي جعل استيرادها -مهما ارتفع ثمنه- أقل من تكلفة الإنتاج المحليّة.

٦/ الأعمال العسكريّة والقصف، وهي كثيرًا ما كانت تستهدف المنشآت الزراعيّة، كمنشآت تربية الدواجن والمباقر ومراكز الإصلاح الزراعي.

٧/ انتشار الألغام في الأراضي الزراعيّة، وذلك في فترة سيطرة تنظيم (داعش) على هذه المنطقة قبل دحره منها؛ مما أخرج مساحات واسعة من دائرة الاستثمار.
٨/ والنقطة الأهم التي أضرت بقطاع الزراعة في هذه المنطقة هي خروج مشروع إرواء سهول تادف والباب من الخدمة؛ بسبب القصف والتخريب الممنهج وسرقة المضخات الرئيسية من قبل تنظيم (داعش)، وسيطرة قوات النظام على موقع محطة الضخ الرئيسية للمشروع في قرية "شربع"، شمال مطار كويرس، وفي حال إعادة تشغيله؛ يُسهِم المشروع في تحقيق نهضَة زراعيّة وتنمويّة كبيرة في هذه المنطقة، حيث تستفيد منه ٢٩,٣٠٠ هكتار ومساحة مروية كاملة، تقدر بنحو ٦٧٠٠ هكتار، كما أن وجود (سد تشرين)، تحت سيطرة قوات (قسد)، حرَم المنطقة من مصدر أساسي للطاقة الكهربائيّة.

أطلقت منظمات وجهات محليّة ودوليّة مبادراتٍ عديدة في هذه المنطقة، تركزت على دعم إنتاج القمح وتوفير البذور للمزارعين، بما يعيد عجلة الحياة لهذا القطاع، وحققت نجاحًا، خلال الأعوام الستة الماضية.

ومؤخرًا، أعلنت وحدة تنسيق الدعم والهلال الأحمر القطري، وصندوق قطر للتنمية عن (مشروع قمح ٢٠١٧). وبلغت المساحة المزروعة بالقمح، في ريف حلب الشمالي ١,٠٠٥ هكتار. يستفيد من هذا المشروع ٢٢٧ مزارعًا بخطة إنتاج تبلغ ٣,٠١٦ طن متوقع. ويأتي ضِعف هذه الكميّة من المشاريع الخاصة غير المدعومة من هذا المشروع؛ ما يشكل الحد الأدنى اللازم لتوفير مادة طحين الخبز لسكان ريف حلب الشمالي.

كما أقامت مؤسسة (إكثار البذار) التابعة للحكومة المؤقتّة ومجلس محافظة حلب الحرّة، مشروع إنتاج بذار البطاطا محليًا وتوفير كافة أصنافها، وانشأت بداية هذا العام ٦٠ بيتًا شبكيًا مزروعة بجميع أصناف البذار من (بانيلا – جيلي- ريفيرا- كروني)، قرب مدينة مارع، ومن المتوقع – بحسب إدارة المشروع - أن يصل الإنتاج إلى ١٢٠ طنًا من البذار، وهي كمية كافية لزراعة نحو ٦٥ هكتارًا، يقدر عائد إنتاجها بنحو ١٧٠٠ طن.

إن إنتاج البذار بهذه الطريقة يكلف بحدود ٥٠٠ دولار للطن الواحد، في حين قد تصل تكلفة استيراد الطن من نوع البذار ذاته إلى ٢٠٠٠ دولار. بحسب ماجد القاسم مدير المؤسسة العامة لإكثار البذار الفرع الشمالي.

ومن أحد حقول زراعة البطاطا في مدينة مارع، قال المزارع أبو زكريا لـ (جيرون): تشتهر منطقتنا بزراعة البطاطا؛ بسبب نوعية التربة واليد العاملة الخبيرة أبًا عن جد، وقد بلغ إنتاج الدونم هذا العام بحدود ٣,٥ طن، فيما كان يصل سابقًا إلى ٥ طن للدونم؛ بسبب صعوبة ري المساحات المزروعة وتوفير الأسمدة؛ إذ إن سعر الليتر من مادة الديزل المكرر يبلغ اليوم ٢٠٠ ليرة سورية، في حين ثمن كغ البطاطا ٧٥ ليرة سورية".

وأضاف أن هناك عدة صعوبات، منها صيانة المضخات وانخفاض منسوب المياه الجوفيّة؛ بسبب اعتماد المنطقة عليها لتأمين مياه الشرب،

وارتفاع أجور النقل". ولفت إلى أن الحالة الأمنيّة شجعت الكثيرين على العودة واستثمار أراضيهم، ونأمل في العام القادم زراعة مساحات أوسع، بمساعدة الجهات المسؤولة من مجلس المحافظة والمجلس المحلي.

ومع استقرار منطقة (درع الفرات) أمنيًا، لا يوجد ما يمنع من إقامة مشاريع، لتوفر الأراضي واليد العاملة الخبيرة، وبما يوفر فرص العمل ويمتص البطالة المنتشرة، وخاصة بعد موجات النزوح.

بحسب ما ذكرت وسائل إعلام النظام (شبكة أخبار حلب والريف الشرقي) أن إنتاج المناطق التي سيطر عليها في ريف حلب الشرقي، من مادة القمح بلغ نحو ١٤٠٠ طن قمح، و٦٠٠ طن شعير لغاية ٥ تموز/ يوليو، وما زالت عملية التسويق مستمرة، وقد حدد النظام أسعار مادة القمح بـ ١٤٠,٠٠٠ ليرة سورية للطن الواحد، فيما حددت الحكومة التركية سعر شراء طن القمح بـ ٢٦٥ دولار، والشعير بـ ٢١٠ دولار، ومع ذلك يُفضِل المزارعون في المنطقة تسويق محاصيلهم عن طريق المجالس المحلية، لشعورهم بالموثوقيّة والأمان أكثر من تسويقها عن طريق النظام، على الرغم من فارق السعر.

وقدّر أحد تجار الحبوب في المنطقة أن الكمية المسوقة، في مراكز تسويق الحبوب، لا تتجاوز ١٠٠٠ طن من مادة القمح، في عموم منطقة (درع الفرات).

من السلبيات التي يشكو منها قطاع الزراعة، العقليّة الإداريّة الفاشلة في بعض المواقع ومفاصل العمل، ومن الأمثلة على ذلك: قدمت الحكومة التركيّة، من ضمن مساعداتها للمنطقة، أعدادًا كبيرة من الفروج البيّاض، مع مستلزمات تربيته من أعلاف وأدوية،

وكانت الكمية كافيّة لإقامة مشروع عام، لإنتاج البيض في كل مدينة، وتشغيل اليد العاملة، وديمومة الفائدة على السكان من عائدات هذا المشروع، لكن المؤسف أن المجالس المحلية بعثرت المشروع،

ووزعت الفروج على الأهالي، بحيث خصت كل عائلة بخمس فراريج، وبذلك انعدمت الفائدة والغاية من المشروع، وحسب تعبير المهندس الزراعي محمد خليل: "كان من الأجدى استثمارها في مشاريع مداجن عامة، وتشغيل اليد العاملة وإدارتها كمشاريع عامة تعود بفائدة أكبر على المنطقة".
بعد كل ما قيل؛ تبقى المياه ومصادر الطاقة هي الأساس الأهم الذي يشكل شرطًا أوليًا لنجاح التنمية الزراعية في هذه المنطقة.

عن موقع «جيرون»
إبراهيم صالح

الفرق الفنية السورية في شارع الاستقلال
تمرد فني ام بحث عن مصدر للرزق

تعتبر موسيقى الشارع ظاهرة قديمة، ونوع من الممارسة الفنية للهواة والمحترفين على حد سواء، ولكن دون التقيد بالمكان أو الزمان، ودون الخضوع لقوانين العمل الثقافي التقليدي. وهي شكل من أشكال التحرر من الفضاءات المغلقة كالمسارح أو القاعات. كانت بدايات انتشارها في أوروبا منذ مطلع القرن الماضي وربما قبله بقليل، كنوع من التعريف بالذات لبعض الهواة، ووسيلة للبحث عن المال أو كردة فعل على واقع سياسي أو اقتصادي. ثم اشتهرت هذه الموسيقى في فرنسا خلال الفترة التي سبقت أحداث الانتفاضة الطلابية في أيار ١٩٦٨، والتي وقعت في العاصمة الفرنسية باريس بعد تضييقات حكومية على المثقفين والأدباء وحالة عدم رضى شعبية على السياسة الخارجية التي تنتهجها حكومة الجنرال شارل ديغول آنذاك. كان الطلاب يلتقون في جامعاتهم وفي الشوارع والساحات العامة ويغنون أغانٍ غاضبة على السلطة ورافضة للممارسات الخاطئة تجاه مثقفي البلاد. منذ ذلك الوقت، أصبحت موسيقى الشارع رمزاً للتمرد على الأنظمة أو شكلاً من أشكال الرفض والمعارضة أو الوقوف مع الفقراء والمظلومين ليس في فرنسا فحسب بل في كل بقاع العالم.
لم يكن الموسيقيون في العالم العربي يقبلون على الشارع بسبب الرقابة الشديدة التي فرضتها السلطات ومنعها ما سمته بالـ «التجمهر». وربما يعتبر الظهور الأول لموسيقى الشارع في بلد عربي كان في الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي، وتواصلت حتى أواخر ثمانينات القرن العشرين مع بداية الأزمة السياسية والأمنية في البلاد. أما في سوريا، وفي عهد نظام الأسد الأب ومن بعده الابن، كان فن الشارع من المحرمات والممنوعات، التي تستدعي الاعتقال والتغييب، فهي بالنسبة للبنية المتغولة بالاستبداد تعتبر فعلاً يثير المخاوف والقلق، قد يفعل في البلاد ما فعله هولاكو بحاضرة العباسيين بغداد ومدن الشام، فالقمع والكبت من النقاط الأساسية في استراتيجية الأسد الحريصة على إبعاد السوريين عن كل شيء قد يسفر عن تجمعات بشرية، ربما تحرك نفوساً ملت الصبر.
في إسطنبول، المدينة التركية المجنونة، كان أول لقاء للسوريين مع هذه الثقافة، تعاملوا معها كمتفرجين في البداية، ومن ثم حاولوا أن يجربوا هذه التجربة، وأن يقدموا التراث الموسيقي السوري، أسوة بباقي شعوب الأرض التي تمارس هذا الفعل في شارع الاستقلال المتفرع عن ساحة تقسيم، والذي يعتبر الشارع الذي لا يهدأ في إسطنبول. في شارع الاستقلال تجد أكثر من فرقة موسيقية سورية لشباب في العشرينيات، أو لفرقة مختلطة تضم الشباب والشيوخ، أو لعازفين بشكل منفرد، الجميع اتخذ من الشارع مسرحاً له، يعرض أغانيه وموسيقاه، وما إن يبدأ أعضاء الفرقة بالضرب على آلاتهم، حتى تتشكل حولهم دائرة بشرية، تصل رغم اختلاف الثقافة لأعلى حدود التناغم، أحد أعضاء هذه الفرق شرح لي تجربته الأولى في العزف في شوارع اسطنبول. «أحد أصدقائي اقترح أن أعزف في الشارع، في البداية رفضت ذلك، ونظرت إليه تلك النظرة التي توحي بالغضب بسبب استهزائه بي، طبعاً نحن في سوريا لا نعرف موسيقا الشارع، ولم نعتد عليها، بعد عدة محاولات قبلت النزول إلى شوارع اسطبنول، لا أخفيك أنني اختبأت خلف آلتي الموسيقية «الأوكرديون»، ولكن بعد المرة الأولى لعزفي في الشارع، اختلف الأمر بشكل كامل، لا أخفيك أن السبب الرئيسي لعملي هذا هو الحصول على لقمة العيش».
«مرحلة مؤقتة يمر بها شباب سوريون بهدف تأمين مصروف معيشتهم في بلاد الاغتراب، على أمل الخروج إلى مكان أفضل مما اضطروا للجوء إليه» مع ابتسامة بعيدة كل البعد عما يحمله ذلك التعبير من معنى قال ملهم كلماته تلك، عارضاً واقع آلاف الشبان السوريين، ممن غادروا البلاد في طريقهم للبحث عما يؤمن بعض احتياجاتهم، فبعضهم أغلق الباب على مشروع دراسي لطالما تمنت أمهاتهم وآبائهم رؤية الصك الأخير فيه، أو منهم من تناسى فعلياً حمله لتلك الشهادة. تختلف التفاصيل، إلا أن الشقاء يأبى أن يفارق السوريين، ففي كل حكاياتهم ومع أيّ خطوة لهم، تلتمس حضوره بين سطور أيامهم، وحتى إن غاب فهو كالهدوء الذي يسبق العاصفة، أعضاء هذه لم يكونوا حالات غريبة ونادرة، فكل واحد منهم يمتلك كؤوساً فارغة من الشقاء شربها مع كل موطئ قدم مشى عليه بعد أن قرر الرحيل عن سوريا مهما حاول الهرب، فخالد العضو في إحدى الفرق، يقول: «غادرت سوريا منذ ما يقارب الـ ٣ سنوات بسبب حرب الأسد على السوريين، فعملي كعازف توقف بشكل كامل في مدينة حلب، قررت التوجه لمصر حيث صارعت الحياة هناك لأكثر من ٦ أشهر، وبسبب عدم منح السلطات المصرية «الفيزا» لعائلتي، توجهت إلى تركيا، حيث بدأت بالعمل في مغسلة قماش، مقابل ٢٥ ليرة تركية في اليوم الواحد، الأمر الذي أجبرني على دفع ولدي لترك دراسته، للعمل معي، إلّا أن العمل كان مرهق جداً فبعد بضعة أشهر أصبت بمرض «الديسك». نصيب خالد، لم يختلف عن ملهم فمن مدرس موسيقي في معاهد حلب، وحاصل على دبلوم تأهيل تربوي وإجازة جامعية من كلية التجارة والاقتصاد، إلى عازف يرفض واقع بات جزءاً من تفاصيله. «بعد ١٨ عاماً من عزفي للموسيقى، أجبرت عقب هروبي من سوريا إلى تركيا، العمل ضمن فرقة موسيقية تعزف وتعبر عن مشاعرها ضمن شوارع مدينة اسطنبول» إسطنبول، المدينة التي امتزجت فيها أطياف ثقافات البشر وأعراقهم، لم ترفض أن يكون للعازفين السوريين نصيباً من شارع يمر فيه يومياً آلاف الأشخاص من مواطنين وسياح أجانب لن يضيعوا فرصة زيارة تركيا دون المشو على حجارة شارع الاستقلال ومشاهدة معالم المكان وسماع موسيقى باتت عنصراً يصعب انتزاعه من ثقافة المكان. فالنمطية والتقليد والتكرار والنقل والاتباع، وغياب الابتكار والتجديد، تغلغل فينا كسوريين، وهو الأمر الذي حاول الفنانون الهواة تحديه، فلم تغب سوريا عن الحضور بقدود مدينة حلب، وأغانيها التراثية والوطنية فكما قال خالد «الحنين إلى الوطن لا يغيب عن المرء مهما عاكسته الظروف وأجبرته على الابتعاد عن منزل وأزقة كبرت في روحه قبل أن يكبر بها».

خالد شيخ أيوب

المفوضية الأوربية تدعم اليونان لمواجهة أزمة المهاجرين

كـان تدفق اللاجئين على اليونان أكبر بكثير من أن تتحمله دولـة هي بالأساس على شفير الإفـلاس، ولأنها كانت معبراً أساسياً للاجئين المنطلقين من تركيا عبر بحر إيجة إلى أوربا، فقد كانت اليونان هي قبلة الباحثين عن درب جديد في أوربـا.

وبعد أن تم ضبط الطرق من اليونان وإلى باقي الدول الأوربية، بقي في البلاد دون أن يتمكن من مغادرتها أكثر من ٦٢ ألف لاجئ من جنسيات مختلفة، ينتظرون الحصول على حق اللجوء. وأعلنت لجنة إدارة أزمة اللاجئين التابعة لوزارة الدفاع اليونانية، أن اليونان تستضيف في الوقت الحالي أكثر من ٦٢ ألفا من المهاجرين وطالبي اللجوء، الذين ينتظرون نتيجة الطلبات التي قدموها للحصول على حق اللجوء، وذلك في وقت يتعين عليها أيضا مواجهة تدفق المزيد من المهاجرين وبشكل خاص في جزر بحر إيجه شرق البلاد.

لـذلـك وضـمـانـاً لضبط عملية الهجرة حصلت الـيـونـان على حـزمـة جـديـدة من الـمـسـاعـدات المالية الأوروبـيـة، وذلـك للمرة الثانية خـلال شهر واحـد، من أجل مساعدتها على مواجهة أزمـة المهاجرين.

إذ قدمت المفوضية الأوروبـيـة مسعدة مالية تقدر بـ ٢٠٩ ملايين يورو (بما يعادل حوالي ٢٤٣ مليون دولار أمريكي)، بهدف مساعدتها على حل أزمة اللاجئين المستمرة. تشمل تمويل برنامج تبلغ تكلفته ١٥١ مليون يورو، يهدف إلى مساعدة المهاجرين على استئجار أماكن لإقامتهم في المدن اليونانية، والانتقال إلى خـارج المخيمات.

وتعد هذه الحزمة الثانية من نوعها التي يتم الإعلان عن تقديمها لليونان خلال شهر واحد، حيث تم الإعلان عن الحزمة الأولى في ١٠ تموز/ يوليو الحالي، وجرى خلالها تقديم مبلغ ٦٦,٤٩ مليون يورو لجزيرتي ليسفوس وكيوس لمساعدتهما على تحسين الأوضـاع بمراكز استقبال المهاجرين. حيثتعاني الجزيرتان الواقعتان في شرق بحر إيجه من تدفق المهاجرين القادمين من تركيا منذ بداية أزمة الهجرة في عام ٢٠١٥.

وبحصولها على الدعم، تكون اليونان قد حصلت على ٤٠١ مليون يورو لمساعدتها في التعامل مع أزمة اللاجئين. وقال ديميتريس افـرامـوبـولـوس مـفـوض شـؤون الهجرة للصحفيين، إن «هذه المشروعات جزء واحد من دعم شامل لليونان، لكنه أيضا موجه لأولئك الذين يحتاجون للحماية». وأضاف إن «هناك تمويلا من الاتحاد الأوروبي يبلغ نحو ١,٣ مليار يـورو سيتم وضعه تحت تصرف اليونان من أجل إدارة أزمة الهجرة».

تدفق المهاجرين لا يتوقف

ولا تبدو في الأفق أي إشارة إلى أن تدفق المهاجرين قد يتوقف، وبشكل خاصة في منطقة شرق بحر إيجه، حيث قالت سلطات الموانئ اليونانية يوم الجمعة الماضي إن ١٧٧ مهاجرا على الأقل تم إنقاذهم في البحر خلال ٢٤ ساعة، ضمن ثلاث عمليات بحث وإنقاذ قرب سواحل جزيرتي ليسفوس وساموس في بحر إيجه.

ويتركز العدد الأكبر من المهاجرين في الجزر الخمس الواقعة في بحر إيجه، والتي يوجد بها منشآت لإيوائهم، وهي ليسفوس وشـجـيـوس وسـامـوس وكـوس ولـيـروس، حيث يوجد ١٥٢٢٢ من طالبي اللجوء.

وتستضيف جزيرة ليسفوس نحو ٤٧٢٥ مهاجرا داخل مركز تديره الحكومة، وتبلغ سعته الأصلية ٣٥٠٠ مهاجر. في حين تستضيف جـزيـرة كيوس حـوالـي ٣٥٠٣ مهاجرين في وقت تصل الطاقة الاستيعابية لمراكز الاستقبال فيها إلى ١١٠٠ مهاجر فقط.

وتـــزداد الأمـــور صـعـوبـة فـي جـزيـرة سـامـوس، حيث صممت الـمـراكـز هناك لإيـواء ٨٥٠ شخصا، لكنه يتعين عليها التعامل حاليا مع ٢٤١٤ مهاجرا، بينما استقبلت جزيرة كوس ١٨٣٠ مهاجرا في معسكر يستوعب ألـف شخص فقط، بينما يعيش ١٠٤٨ مهاجرا في أماكن أخـرى.

وكالات

فرص لتعلّم اللغة... الدورات والشهادات

عندما يصل المهاجر إلى ألمانيا، سيجد أنّ عليه أوّلاً تعلّم اللغة الألمانيّة، وإن كان يتحدّث أيّة لغة أوروبّيّة أخرى بشكل ممتاز.

فقد يستطيع تدبّر بعض الأمور في بعض الأماكن، ولكن ليس لفترة طويلة، ولن تفيده حتّى بعض الكلمات أو الجمل التي حفظها قبل دخوله إلى ألمانيا، فهو لن يستطيع ملء الاستمارات العديدة المطلوبة منه، أو من عائلته للتسجيل في المدرسة مثلاً، وهو بالتأكيد لن يحصل على عمل أو وظيفة قبل أن يصل إلى مستوى معيّن من الاتقان للغة.

لذلك، يظهر التحدّي الأوّل أمام اللاجئ: وهو تعلّم اللغة، فكيف يمكن تخطّي هذه العقبة، وماهي الطرق والوسائل المتاحة أمام اللاجئ في ألمانيا؟

طرق للتعلّم المجّاني

يمكن معرفة بعض التعابير اللغويّة الأساسيّة قبل الوصول إلى ألمانيا، من بعض المواقع على الأنـتـرنـت، وبواسطة تطبيقات مثل «أنكومين» (Ankommen)، وكذلك زيارة الصفحة الإلكترونيّة لمعهد «غوته» الشهير، والبحث عـن دورات مجّانيّة على شبكة الأنترنت. وكثير من العناوين التي يوفّرها الدليل العمليّ للاندماج الذي أصدرته المنظّمة الـدولـيّـة للهجرة مثل www.dw.com

لكن داخل ألمانيا، وبمجرّد وصول اللاجئ، عليه أن يبدأ بالاتّصال بالمنظّمات التي تختصّ بمنح المساعدة والدعم إلى طالب اللجوء، التي تتنوّع وتتعدّد، فمنها من تكون باستطاعتها إعطاءه أسماء وعناوين أشخاص متبرّعين لإعطاء دروس خصوصيّة مجانيّة في اللغة، وهم في الغالب معلّمون سابقون أو متقاعدون، وهم في الغالب ذوو كفاءة وخبرة كبيرتين، بالإضافة إلى امتلاكهم الوقت الكبير والكافي لتقديم المساعدة في هذا المجال، فهو مجالهم.

دورات الـلـغـة الـمـخـصّـصـة لـلانـدمـاج

فيما يخصّ الأطـفـال (تحت سـنّ ١٧) سيخضعون للمدارس النظاميّة الرسميّة، وهي إلزاميّة، ويمكن للأهل أن يستفيدوا بشكل غير مباشر من خلال المساعدة والاطّلاع على تلك المنهاهج أثناء اهتمامهم بواجبات أولادهم.

ولـكـن لـلـكـبـار (١٨ عـامـاً فـمـا فـوق) دورات مـخـصّـصـة يُـلـتـزم الـلاجـئ بـالـمـشـاركـة فـيـهـا مـن جـهـة الانـدمـاج (Integration)، وهـي فرصة مزدوجة لتعلّم اللغة وزيادة المعرفة بالمجتمع الجديد.

فما أن يسجّل اللاجئ حتّى يعطى وثيقة استحقاق (Berechtigungsschein) يـحـقّ لـه بـواسـطـتـهـا حـضـور دورة من تلك الـدورات في المدرسة التي يختارها مـن بين مجموعة مـحـدّدة ومـعـتـرف بها مـن قبل الحكومة فـي هـذا الاختصاص.

تتكفّل الحكومة الألمانيّة بتوفير هذه الدورات ودفع رسومها، وهي تتألّف من ٦٦٠ ساعة درسيّة (الساعة الدرسيّة ٤٥ دقيقة) مقسّمة على جزأين: ٦٠٠ ساعة لتعليم اللغة، و٦٠ تعطى فيها معلومات عن الحياة والقوانين والتاريخ والثقافة في ألمانيا. في خيارات لدوام كامل أو جزئي، وتوجد معلومات كافية عن هذه الدورات في العديد من الدوائر الحكوميّة المختصّة مثل مراكز العمل، ودائرة الأجانب، ومواقع إلكترونيّة رسميّة مثل: www.bamf.de

عاديّة وتوجيهيّة وغيرها

في دورة اللغة (٦٠٠ ساعة درسيّة) يدرّس منهاج طريقة التحدّث باللغة الألمانيّة في عدّة جوانب هامّة من الحياة اليوميّة ومنها العمل أو المهنة، وكذلك التدريب على الوظائف، ومـا يسمّى التدريب المهني، والتسوّق، وتربية الأطفال وتعليمهم وتثقيفهم، ومواضيع اجتماعيّة عامّة كالهوايات وأوقـات الفراغ، ومواضيع هامّة أخـرى كالصحّة، وكذلك السكن والإيـجـار، وحـول الإعـلام وسائله وحقوقه، ووسائل وطـرق السفر المتاحة.

وبشكل خاصّ يتمّ تعليم طريقة كتابة الرسائل الرسميّة والخاصّة، والإلكترونيّة، وكيفيّة ملء الاستمارات، وإجـراء الاتّصالات الهاتفيّة، أو التقدّم بطلب للوظيفة، وكيفيّة التعامل مع قضايا هامّة كرمي القمامة، وبالأصحّ فرزها، وهي مسألة تنال اهتماماً متزايداً في ألمانيا.

أمّا الدورة التوجيهيّة (٦٠ ساعة درسيّة) فتتناول القانون ونظام الحكم في ألمانيا، والحقوق والـواجـبـات، والـتـاريـخ الثقافة، وتركّز على المعلومات الخاصّة بالولاية التي تعيش فيها، والقيم الأساسيّة التي يستند إليها المجتمع، وبخاصّة حريّة الأديان، وقيم المساواة، ومفهوم سيادة القانون، وغير ذلك.

دورات متخصّصة وشهادات

توجد دورات أخـرى، لتتعلّم فيها فئات أخرى إلى جانب الدورات العاديّة، مثل دورة محو أمّية للأفراد الذين لا يستطيعون القراءة أو الكتابة، كما أنّ هنالك دورات مخصّصة للنساء، يتمّ التركيز فيها على احتياجات المرأة، وأخرى مخصّصة للأهل، للمساعدة في قضايا تعليم الأطفال وتنشئتهم، وهنالك دورات مخصّصة للشباب ومشاكلهم، أو تدريبهم على الأعمال ومنحهم فرص مهنيّة، أو إعدادهم للتعليم العالي.

وفـي مختلف تلك الـدورات، يـتـمّ منح شهادات للناجحين في امتحاناتها، وتعتبر هذه الشهادات ضروريّة عند التقدّم بطلب للحصول على وظيفة، كما تتيح للحاصلين عليها تقديم طلبات للحصول على الجنسيّة بعد سبع سنوات من الإقامة المنتظمة في ألمانيا.

بشّار فستق/ برلين

الهجرة إلى ألمانيا..... قراءة معاصرة

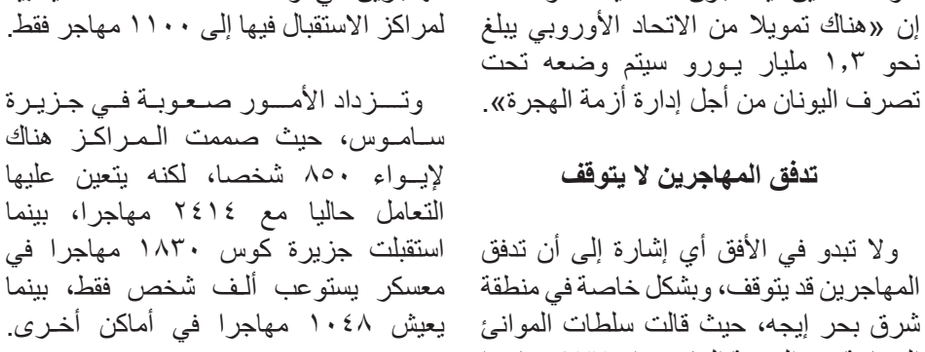

بعد الحرب العالمية الثانية وما مُنيت به ألمانيا من خسارة بشرية ودمار واسع، وفد إليها الكثير من المهاجرين بقصد العمل، أغلبهم أتى من إيطاليا واسبانيا واليونان؛ ثم النهوض الاقتصاد المميز كان الدافع الأكبر للهجرة من تركيا ويوغسلافيا، استقبلت ألمانيا ملايين «العمال الضيوف» كما كان يطلق عليهم، عاد معظمهم وبقي آخرون واستقدموا عائلاتهم واستقروا في ألمانيا، كانوا يعيشون في تناقض اجتماعي، فألمانيا بلد غير تقليدي وغير مناسب للهجرة. لم تكن حينها مسألة الهجرة والاندماج تطرح كموضوع سياسي قابل للنقاش وكان يعتم على تلك الجوانب، لهذا مشاريع القوانين بقيت حبيسة الـدروج المغلقة ولم تر النور.

في بداية الثمانينات بدأت الأصوات ترتفع حـول المهاجرين واندماجهم في المجتمع الألماني، دون أن يصدر قانون ينظم ذلك.

في أواخـر الثمانينات وأوائـل التسعينات وفد ألمانيا أعداد كبيرة من المهاجرين من أوربا الشرقية ودول الاتحاد السوفيتي، من ذوي الأصول الألمانية الذين هجروا بفترة الحرب. عام ١٩٩٠ أقر البرلمان في ألمانيا الديمقراطية قبول اليهود ومنحهم حق اللجوء؛ عام ١٩٩١ دخل ألمانيا ٥٠٠٠ يهودي أتوا من دول الاتحاد السوفيتي. فيما بعد تبنت ألمانيا الموحدة هذا القانون حيث وصل عدد اليهود القادمين من دول الاتحاد السوفيتي السابق ٢٠٠٠٠٠ شخص حتى عام ٢٠٠٧.

الدستور الألماني الصادر بعد الحرب العالمية الثانية نص على حق طلب اللجوء، وأعطى الحق لطالب اللجوء فرصة البقاء في ألمانيا حتى يتم البت في طلبه، وهذا دفع الكثيرين للتقدم بطلبات لجوء في ألمانيا من مختلف دول العالم، وجد الساسة الألمان ضرورة وضع حد لذلك، لقد بلغ عدد طالبي اللجوء ٤٤٠٠٠٠ شخص عام ١٩٩٢، فكان أن أقر تعديل حق طلب اللجوء عام ١٩٩٣ وبموجب التعديل تم تقييد الحق وحصرة بمن أتى من دول فيها ملاحقات سياسية، ولم يعد ينطبق على من أتى من دولة ثالثة لا يتعرض فيها لملاحقة سياسية؛ ليتناقص منذ تاريخه تدريجيا عدد طالبي اللجوء ، ويرتفع عدد المقيمين غير الشرعيين، وهؤلاء يعملون بشكل غير نظامي بعيدا عن الضرائب وعن الخدمات الاجتماعية.

دخل قانون الهجرة الجديد حيز التطبيق عـام ٢٠٠٥ وعـدل عـام ٢٠٠٧، بموجبه فرضت المزيد من القيود لتجديد الإقامة ولم شمل الأسر، فقد ارتبطت بدورات تعلم اللغة الألمانية، والتعريف بالبلد وفحص اللغة لكل افراد الاسرة إن لم يكونوا من أصول ألمانية، ونقاط ينبغي الحصول عليها (تم استبعادها فيما بعد بسبب فشلها). وهذا القانون طبق على اليهود والاوربيين مما أدى إلى تناقص أعداد المهاجرين والعودة الطوعية للكثيرين.

الهجرة الرابعة الضخمة التي شهدتها ألمانيا كانت عام ٢٠١٥ في هذا العام فتحت ألمانيا حدودها لاستقبال اللاجئين السوريين الفارين من الحرب، وعلقت العمل باتفاقية دبلن، دخل ألمانيا حوالي مليون لاجئ، ربعهم سوريين وفقاً للتقارير الألمانية. كان ظرفاً طارئاً واستثنائياً في ألمانيا رغم إمكاناتها الهائلة، افتتحت الكثير من مراكز الإيواء، ثكنات عسكرية، صالات رياضية، خيام مع تجهيزات كاملة (حمامات، دورات مياه، اغطية وطعام وماء...) لم ينم أحد على الأرصفة والطرقات، قدم الطعام للجميع، بمستويات متفاوتة بين الولايات والمراكز. والكثير من فرص العمل الجديدة للمقيمين.

هذه الأعـداد الكبيرة من اللاجئين أثارت جدلاً واسعاً في الأوساط السياسية وتخوفات اجتماعية والكثير من إشـارات الاستفهام والترقب؛ سرعان ما صدر قانون الاندماج بعد نقاش لم يستغرق الكثير من الوقت، يتضمن المزيد والمزيد من القيود والإلزامات، منها تقييد إعطاء صفة لاجئ الذي حرمان الكثيرين من الاستفادة من قانون اللجوء واعتماد (حالة الحماية) وهي إقامة لمدة سنة قابلة للتمديد حسب ظروف البلد، كما ارتبط تمديد الإقامة بتعلم اللغة وتجاوز الاختبار والعمل أو الدراسة، منع تغير مكان الإقامة الا بحالة العمل، الالزام بالعمل بعد فترة محددة من الوصول إلى ألمانية، مع سلسلة إجراءات وبـرامـج ودورات تحقق ذات الـغـرض.

لم تكن ألمانيا بلد مستقبل للاجئين، مع تزايد وتيرة الهجرة وتزايد أعداد المهاجرين، اقتضى وضع قوانين جديدة وتعديل القوانين الموجودة، فعدلت قانون الأجانب ١٩٩٠ حيث سهل الحصول على الجنسية الألمانية، ثم عدلت قانون الجنسية ٢٠٠٠ فبات يمكن للمولود على الأراضـي الألمانية الحصول على الجنسية بشكل محدود، ثم إقرار قانون الهجرة عـام ٢٠٠٥ وتعديله ٢٠٠٧ ثم المبادرات السياسية المتعلقة بالهجرة ومنها مؤتمر الإسـلام فـي ألمانيا ٢٠٠٦ الـذي وصف ألمانيا بأنها بلد مستقبل للمهاجرين. وليـس آخـرهـا قـانـون الانـدمـاج ٢٠١٦.

كفاح زعتري

الأخلاق والعاطفة المجانية

إنّ العقل بطبيعته عند الإنسان، وحتى عند الحيوان، يسعى دائماً إلى خلق صور تفسيرية للأحداث المحيطة به. هذا الفعل للعقل هو ما يُطلق عليه اسم النمط، والـذي يتجلّى بمجموعة القوانين التي يفترضها السلوك من أجل الحماية والاستمرار الطبيعيين للكائن. إن وجود النمط في السلوك البشري هو من أجل إيجاد قوالب جاهزة لأي مشكلة قد تعترض الإنسان مستقبلاً مثلما اعترضته في أول مرة قبل أن تتحول تلك المشاكل إلى تجربة تراكمية في الوعي ويتأسس عليها نمط الحماية. ولا يمكننا نكران أهمية النمط في الوعي البشري وما ساهم به من ارتقاء في تطوير عمل العقل، رغم ضيق أفقه وانحيازه في كثير من الأحيان إلى المقدس الصنمي .. ولا نعني بالمقدس الصنمي هنا اللاهوت فـقـط، بـل مجموعة الأنـمـاط السياسية والاجتماعية والأخلاقية والأسطورية أيضاً.

وتكمن أهمية النمط بالدرجة الأولى في التنظيم الاجتماعي، إنها مجموعة التجارب التراكمية التي تتحول إلى قوانين تُسيّر المجموعات البشرية ذات الطابع الواحد داخل بنية تنظيمية للارتقاء بتلك المجموعات البشرية من مستوى ثقافي قديم إلى مستوى ثقافي أكثر انفتاحاً وتطوراً. إذاً فالأنماط في التاريخ الإنساني هي ضـرورة، لكن تكمن مشكلتها الأساسية والسلبية عندما تتحول إلى مقدس مُصنّم ليس بمعناه التاريخي التراثي بل بمعناه النفسي، عندما تتضخم التجارب الإنسانية وتتراكم داخـل حـدود نمط معرفي قديم ولا تنقلب عليه لتطويره، تتحول إلـى هالة حجرية داخل النفس رغم تطور الشكل الخارجي. هذا تماماً ما جرى وما يجري في علاقتنا كشعوب شرقية وعربية مسلمة مع تراثنا الأخلاقي، لقد تغير الشكل والخطاب لكن الجوهر النفسي المُصنّم يصبح حاضراً فـي لحظة المـحـك السـلـوكـي الأسـاسـي. إنّ علاقة المجتمعات الإسلامية عموماً والشرقية خصوصاً مع الأخلاق نشأت فعلياً في الوعي الحضاري الإسلامي، فكل التجارب والحكايات ذات المغزى الإنساني والمواقف الأخلاقية التي يتم تداولها داخل مجتمعاتنا هي نتاج المرحلة الإسلامية قطعاً يتخللها بعض الحكايات من الديانات الأخرى، لكن التأثير الأخلاقي الفعلي والمتداول هو للتجربة الإسلامية أو ما جـاءت على ذكـره بوجه خاص دون سواها حتى وإن كانت جاهلية، إنّ مجرد ذكرها في السرد الإسلامي خلق منها طابعاً متميزاً كتوحيد إسلامي ومُسقطاً عنها الطابع الإلهي في الديانات الأخـرى. قد نسمع الكثير في الثقافة المعاصرة يتم من خلالها تـداول بعض الصفات التي تناقلتها القصص التراثية حتى وقتنا الحاضر، تتحدث عن شجاعة وحنكة عنترة بن شداد، عن كرم حاتم الطائي، عن عدالة عروة بن الورد، ومروة امرؤ القيس، وعزّة النفس لدى عمرو بن كلثوم .. الخ، لكن تبقى العلاقة مع تلك الصفات الأخلاقية لتلك التجارب علاقة تراثية تفاخرية أكثر منها علاقة عاطفية وقيمية، ولا تُشكّل من الصفات التي نشأت مع الإسلام أخلاقياً إلا جزءً يسيراً، فعندما نتحدث عن عنترة وخالد بن الوليد فبالتأكيد أن خالد يأخذ بُعداً تراجيدياً فدائياً أكثر في الوعي الأخلاقي لتأثيره المباشرة في البناء التنظيمي للإسلام، وذات الأمر عندما نتحدث عن عدالة عروة فإنها لا تُقارن - بالنسبة للأخلاق المعاصرة - بعدالة عمر بن الخطاب، لأنّ عمر ثائر في مفهوم العدالة بالمعنى التنظيمي وليس مثل عروة ثائر بمعناه الفوضوي، والقياس قائم على جميع المقارنات في التراث العربي التاريخي. من هنا تصبح القيمة الأخلاقية التي تم توريثها عبر ١٤٠٠ عام هي القيمة الأخلاقية الإسلامية فقط وإسقاط ما عداها. إنها فعل قطيعة مع الأخلاق ما قبل الإسلام. قد تجد شخصاً يتحدث عن صبر النبي إبراهيم وهو يرفع السكين على عنق ولده إسماعيل بأمر الله، لكن الحديث عن تلك التجربة تأتي بمعناها الرومانسي التراجيدي والتعبدي للامتحان الإنساني، لكنها بالنسبة للفعل الأخـلاقـي الإسـلامـي التنظيمي لا تُـقـارن بتجربة صبر عمار بن ياسر في تحمل تعذيب قريش له ولوالديه أمام عينيه، لأنها تجربة بالمعنى التحرري المباشر، تجربة انقلاب على النمط القديم، فالعلاقة الأخلاقية مع تجربة بن ياسر أكثر حضوراً في الوعي النفسي الأخلاقي المعاصر من تجربة النبي إبراهيم التي تبقى علاقة تراثية. تدلل تلك الحالات على تحديد القيمة الأخلاقية ضمن حدود معرفية وسقف معين لا يجب الخروج منه. قد يخرج الكثير من الناس ليقولوا أنهم تحرروا فعلياً من تلك القيم الضابطة للأخلاق القديمة وحدودها النمطيّة، وهم فعلياً تحرروا مثلما ذكرنا بداية على المستوى الشكلي وجزئياً على مستوى الخطاب، لكن التأثير التراثي على المستوى النفسي ما زال حاضراً. إنّ المشكلة الأساسية في الأخلاق الإسلامية، من خلال الحكايات المنقولة والمتوارثة، هـي الانـدفـاع العاطفي إلـى أقـصـى حد، حتى وإن كانت حكايات ساذجة في بعض جوانبها ويمكن تفنيدها لما تحمله من متناقضات وبديهيات. لقد ورّثـت الأخلاق الإسلامية المعنى الخفي للعاطفة المجانية. تكثر في الإسلام مئات وآلاف القصص التي تأخذ المعنى الأخلاقي العاطفي إلى المنحى المجاني، حتى وإن كانت بعض القصص ركيكة في تناولها للسرد لكنها ضرورية من أجل إكمال النمط البنائي للأخلاق، إنها لإكمال الصورة من جميع جوانبها لتحديد النمط المعرفي الذي يحدد قيم المجتمع، لكن ما يهم هو شرح تأثير العاطفة المجانية في الأخلاق المعاصرة. ليس هناك من شخص عربي مسلم إلا واطلع أو سمع القصة الأكثر إيثاراً في التراث العربي الإسلامي وهـي قصة أبـي جهم بن حذيفة العدوي في معركة اليرموك، يقول أبو جهم : انطلقت يوم اليرموك بعد انتهاء المعركة أطلب ابن عم لي ومعي قليل من ماء فقلت: إن كان به رمق من جراح معركة سقيته من الماء ومسحت به وجهه، فإذا أنا أسمع صوتًا يقول: آه.. آه. فأتيته فإذا هو ابن عمي فقلت له: أسقيك ؟ فأشار إلي أن نعم، فإذا بصوت رجل آخر يقول: آه.. آه.. فأشار ابن عمي أن أنطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص فأتيته وقلت له: أسقيك؟ فأشار إلي أن نعم.. فإذا بصوت رجل آخر يقول: آه.. آه. فأشار هشام أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، ثم رجعت إلى هشام إذا هو قد مات، ثم أتيت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات!. إنّ هذه القصة تعاني ضعفاً لسببين، الأول، أنّ جسد هـشـام بـن الـعـاص تـمـزّق تحت سنابك خيول المسلمين، عندما لحق هشام بمفرده فلول الروم في معركة اليرموك وهم يختبئون بين شقوق الصخور، فقُتِل بطريق معبر كان الروم يهربون منه، وعندما لحق المسلمون بهشام وجدوه ميتاً عند (ثُلمة) شقٍّ في صخر فتوقفوا خوفاً على جسده، وحينها قال أخاه، عمرو بن العاص، جملته الشهيرة: «أيها الـنـاس، إنّ الله قد استشهده، ورفع روحه وإنما هو جثة فأوطئوه الخيل». فداس عليه عمرو بن العاص بخيله وهو يلاحق فلول الـروم، وعندما انتهت المعركة عاد عمرو، يأخذ بجمع عظام ولحم أخيه المفتت. حتى روي عن النبي في تلك الحادثة قوله: «ابنا العاص مؤمنان». أخرجه الثلاثة. أما السبب الآخر إذا ما استثنينا قصة تمزّق جسد هشام، واعتبرنا أن ما رواه أبي جهم بن حذيفة العدوي صحيحاً، هو الجهل المُطبق بالمعلومة الحربية والعلمية القديمة (منذ علوم الكلدانيين الأوائل) أن الجريح لا يُعطى ماء، لأنّ الماء لا يضيف خلايا إلى الدم المهدور بل يُسرّع بتنشيف ما تبقى من دم في الأوعية الدموية مما يؤدي إلى موت الجريح مباشرة. إذاً وباعتبار أنّ القصة هي لمعالجة المعنى الأخـلاقـي، واسـتـخـدام البُعد الأسـطـوري لتأليف واقعة من أجل إحـلال نمط إضافي فـي بنية الأخـلاق العامة لـلإسـلام، بعيداً عـن صحتها مـن عدمها، ينبثق لنا أمر قـد يـراه البعض تهكمياً لكنه مـشـروع. لو أنّ أبا جهم قصّر زمن دورته بين الرجال الثلاثة وعودته إليهم ليشاهدهم قد ماتوا، وأعطى على التوالي الماء لابـن عمه ثم هشام بن العاص ثم الرجل الثالث، لكان اختصر الزمن بنصفه وكان من الممكن إنقاذ اثنين منهما إن لم يُنقذ الثلاثة، لكن المعنى الأسطوري للنمط الحكائي لن يكتمل لو فعل ذلك. إنّ عنصر القصة الأخلاقية لإحلالها في النمط البنائي بشكل دقيق تحتاج أبعاداً تراجيدية وعاطفية مُطلقة، لأنّ أساس القيمة بالمعنى الحكائي، في أي حكاية أخلاقية، تأخذ مجدها من النهاية وليس قبل النهاية. بالرغم من أنّ إنقاذهم على المستوى البشري هو أولوية إنسانية، ولو تمّ إنقاذهم لكان لتاريخنا وحاضرنا صيغة مختلفة، اعتماداً على نظرية أثر الفراشة، لكن بإنقاذهم لن يبقى هناك أي قيمة أخلاقية يمكن توريثها للأجيال اللاحقة حول معنى التضحية بالإنسان في سبيل فكرة، أو للدقة لن يكون هناك ترسيخ لمعنى العاطفة المجانية المُغلّفة باسم الواجب اتجاه الفكرة لا الإنسان. إنّ جميع التجارب الحكائية في الموروث الأخلاقي لدينا تحاكي ذات النمط من القيم العامة لمفهوم القطيع الموحّد، إنها ثقافة الترويج للمؤسسة على حساب الإنسان، إحلال دائم للعاطفة بإطارها المجاني، حتى أنها تأخذ أبعاداً وأشكالاً متنوعة تُعبّر عن تلك المجانية التي أصبحت جزءً من ثقافة يومية تتجلى بالإنسانية المفرطة \ الرثائيات \ البكائيات \ النواح \ الغضب والعصبية والتشدد، دون القدرة على التفكير المنطقي في الحالات الإنسانية، فمشكلة التوريث الأخلاقي النفسي، غير الواعي، تُهدّد البنية العقلية الواعية التي تحاول تجاوز الحدود النمطية للإنسان. إنّ الأنماط الأخلاقية في موروثنا متضخمة ضمن إطار ثقافي قديم، مُعاصر شكلاً وخطاباً لكنه ما زال رثائياً يصبح فيه الإنسان بلا قيمة أمام هدف فكرة مؤسساتية. ولا ينطبق هنا الأمر على البعد الأخلاقي فقط، بل يمتد تأثيره ليشمل البُعد السياسي والاجتماعي، فالإنسان كقيمة محكوم بمجموعة التصورات النمطية عـن كـل بُـعـد مـن هـذه الأبـعـاد. وفـي النسق الثقافي الاجتماعي تبقى الذكورة هي الإطـار الأشمل لتفكيرنا، أي الصورة البطريركية الكبرى لوعينا المنافق. فيتمثل وعينا السلطوي في كل قناعاتنا وسلوكنا، بدءا من العلاقة مع محيطنا العائلي ومرورا بمحيطنا الإداري، وتضخم ذاتنا في علاقتها مع الآخر المختلف عنا في الجنس أو الجنسية أو الطائفة أو الثقافة. وعليه تتبدى شخصيتنا برفضها للحوار الحضاري، وبتعصبها، ثم بعنفها الشديد.

إن علاقتنا مع التابو تبدو بنيوية، ولذلك نحن مساقون فـي دائـرة العبودية للتابو بأطيافه المتعددة، والثورة عليه هي تمثل ثـورة حـضـاريـة، تتجاوز الانـقـلاب على السلطة لتحقيق الثورة النهضوية الشاملة.

أعلى النموذج
عن «الحوار المتمدن»
د. يوسف إسماعيل

إنّ مـوروث التراجيديا النفسية في ثقافتنا الأخلاقية، والذي تمت صناعته فعلياً في النمط الإسلامي، ما زال حاضراً ومرتبطاً بالسلوك لاكتساب عاطفة مجانية إن كان على المستويات الفردية المُعاشة أم على المستويات الفكرية الشمولية، مرتبطة دائماً بالتصورات الخيالية للنهايات الرومانسية إن كانت موتاً أم حياة.

إن النمط الأخلاقي الإسلامي ما زال يتكرر نفسياً رغم تجاوز البشر كوعي لكثير من المسائل المعرفية، ذلك التناقض ما بين ترددات الوعي والثقافة واضطرابات إعادة تدوير الرثائية الإسلامية والتراجيدية والعاطفية، يخلق أنواع من توهم الانجاز العقلي بينما هو ما زال يعيد إنتاج نفسه داخل دائرة حدود لمعاييره القديمة.

ما نحتاجه فعلياً هو كسر هذا النمط الأخلاقي التراجيدي، ليس بمعناه التاريخي التراثي بل بمعناه النفسي، ليصبح الإنسان هو القيمة الفاعلة أمام تداعيات الشمولية الفكرية التي تتبنى أنماط العاطفة المجانية المرتبطة بالرثائيات.

علي الأعرج
٣ / July / ٢٠١٧

التابو في أنساقنا الثقافية

بعد الخبر الفاجع برحيل الدكتور يوسف إسماعيل، نستعيد معاً مقال حديث له منشور في موقع «الـحـوار المتمدن»

يتجاوز التّابو في مجتمعنا العربي أضلاعه الثلاثة المعروفة: الجنس، السياسة، الدين، إلى صور متنوعة ومتعدّدة، قد تبدأ بالمعتقد الدينيّ الشّعبيّ، ولا تنتهي عند الحديث في السياسة؛ وإنّما تدخل في تفاصيل حياتنا اليومية، ومجمل أنساقنا الثقافية. فسلطة الأب الرئيس (السلطة البطريركية) تشمل الأب والأخ الأكبر والجار الأكبر والعابر الأكبر، ثم الأعلم والأقـرب إلـى السلطة الأبوية، إنْ كانت اجتماعية أو دينية أو سياسية. ليس في ذلك إشـارة للتمرد على المنظومة الأخلاقية الاجتماعية؛ وإنما إشارة إلى السلطة المستبدّة، كنسق ثقافي استلابي في حياتنا بمجملها.

ومـن صـور سلطة البعد الأخـلاقـي للتابو أنْ تُذعِن لا أن تَحتَرِم؛ إذ يتداخل الاحترام بالإذعان؛ فتصبح سمة الخنوع سمة أدبية أخلاقية، وتغدو الطاعة العمياء احتراماً جمّاً، وتتحوّل الآراء الشخصية أو حرية التفكير والاعتقاد إلى رعونة وتمرّد وعقوق بحق الأب الرئيس، إن كان أبا بيولوجيا أو أبا رمزياً أو وطناً، ومِن العقوق الأبوي يُلحق المواطن بالخيانة العظمى، باعتبارها التهمة الكبرى، والجاهزة في صور التابو كلها. يشمل التابو في وعينا الجمعيّ، وضمن نسقنا الثقافي القابل للاحترام، الخلط بين الخاص والعام، فالحديث في الجنس عند المتزوج يعني حديثا في الخاص، وعند الأعزب يعني حديثا في لغة «الدّهماء»، وعند الفتاة يعني شبقا محرّما، وعند المتزوجة عهرا يخفي قلة احتشام، وإبـداء الـرأي أمام الأكبر سنّاً تطاولٌ ينمّ عن قلّة تربية، وأمام المقام الأكبر في الموقع أو السلطة أو الشهادة صفاقة. كما يشمل التابو الخلط بين الأنا والآخر، بحيث تفقد الأبـعـاد طاقتها على التمييز، فيؤخذ الابن بأخلاق أبيه أو أخيه أو أمه أو طائفته أو قبيلته، ويتحوّل الآخر إلى عدوّ لاختلافه عني إن كان في المعتقد أو الموقف السياسي أو الـذوق الأدبـي أو الوعي الاجتماعي أو الطبقي، وقد يشمل أحيانا الانتماء الجغرافي.

لا حـدود للتابو في مجتمعنا العربي؛ فلا حرية للفرد في المكان العام، ولا حرمة له في المكان الخاص؛ إذ لا يحقّ له أنْ يمارس طقسه الـخـاص فـي منزله، إن كـان ذاك الطقس لا ينال رضى المجتمع، أو بمعنى آخر لا يتماثل مع التابو الاجتماعي، وبذلك يُطلب من الفرد ممارسة سلطة الجماعة على سلوكه الفردي، وكأنه يمارسه في العلن وأمـام الملأ، ولا يحقّ له أيضاً أنْ يمارس أبسط خصوصياته الفيزيولوجية، ربما، في المكان العام، كشكل الجلوس على كرسيّ في حديقة عامة، أو شكل السروال الذي يرتديه.

يمثّل التابو في وعينا الجمعيّ نسقاً ثقافياً، بحيث تتحول فيه ذواتنا إلى سلطة رقابية على سلوكنا وحديثنا ولغتنا، إننا بذلك نمثل نموذجاً لا إرادياً لصورة الاستلاب الجماعيّ، بحيث نتحول إلى قطيع بطباع واحـدة نمطية، لا خصوصية فيها للفرد إلا في أحلامه اليَقِظة، أو أحلامه التعويضية في لحظة نومه العميق. ولأن هـذا التابو الشامل هو ضد الحرية الشخصية في الاعتقاد والسلوك والـرأي والاختيار، يحولنا إلى عبيد لسلطة الجماعة بتلويناتها المختلفة والمتداخلة؛ فينشأ عن ذلك، في سلوكنا ووعينا وعلاقاتنا، تضاد بين الحاجة إلى الحرية وبين سلطة الاستبداد تلك.

ومن ذاك التضاد ينشأ الصراع الذي يؤدي إلى التمرد العنيف أو المخملي أو الشذوذ أو العقوق أو قلة الاحترام أو قلة الأدب أو العهر أو الخيانة أو الإنكار أو الصفاقة. غير أن ذلك يتجسد على المستوى الفردي؛ فيوسم به فلان من الناس، ولكنه على المستوى العام يحوّل الأغلبية، بكل ألوانها وأطيافها وفئاتها، إلى سمة النفاق؛ بحيث تضطر الأغلبية إلى التفكير بمستويين، معلن ومخفي. وتتقلب بين سلوكَيْن؛ خاص مضمر، وعـام معلن. ذاك النفاق يشمل كل حياتنا وألوانها؛ ففي السياسة نمدح السلطة الحاكمة، تقية، في العلن، ونلعنها في سريرتنا، وهي تعرف ذلك ونحن نعرف أنها تعرف ذلك؛ ولكنها لا تملك دفعنا لاحترامها، بل للخوف منها فقط. ولكن هذه الحالة المتبادلة من الكره بين الحاكم والمحكوم في الخفاء وإعـلان عكسها في العلن، لا تشمل مثقف السلطة؛ لأنه تماهى مع السلطة، وصدّق كذبها، وبـــدأ يـعـيـد إنتاجه. ولذلك نـــراه يـدافـع عـنـهـا، وعـن ثـقـافـتـهـا في السر والعلن؛ فيتحول إلـى رقـابـة غبية في يد السلطة الـقـامـعـة والساخرة منه، وله في الوقت ذاتـــه. وفـي الاعتقاد والرأي لا يمكن أن نجاهر بموقفنا إن كان يخالف الاعتقاد المعلن للأغلبية، وإن كان الفرد في ذلك صاحب موقع اجتماعي وثقافي مميز! فنراه يضطر للّعب باللغة والتلميح والهروب ثم الانزلاق ثم البحث عن صيغ فلسفية تحميه من السلطة الاجتماعية المرهِبة، التي تلاحقه من تصريح إلى تلميح، فتتعب من الجري والاستنتاجات وتجميع الأدلة والبراهين، لتكفيره أو لعنه، وبالتالي إخراجه من الجماعة الاجتماعية إلى منزلق النفي أو الإعـدام تحت ظل قائمة الموتى.

وفي النسق الثقافي الاجتماعي تبقى الذكورة هي الإطـار الأشمل لتفكيرنا، أي الصورة البطريركية الكبرى لوعينا المنافق. فيتمثل وعينا السلطوي في كل قناعاتنا وسلوكنا، بدءا

سعد الله الجابري مهندس الاستقلال

لا أحد من سكان حلب أو من خارجها زائراً إلا ووطأ ساحتها الأشهر (ساحة سعد الله الجابري) ولا أحد في سوريا لا يعرف أو لم يسمع بذلك الاسم الوطني. عندما توفي الجابري عام ١٩٤٧ طلبت عائلته من الشاعر عمر أبو ريشة أن يكون أول من يلقي كلمة بحقه، فطلب الشاعر زيارة منزل آل الجابري حيث كان يُقيم في شارع القوتلي التاريخي. صعد أبو ريشة إلى الطابق الثاني وشاهد غرفة النوم وبها نافذة واحدة مطلة على الشارع أحد زجاجها مكسور وطبق من الكرتون يغطي نصف النافذة، فسأل أبو ريشة: هل كان رئيس وزراء سوريا ينام هنا! بالطبع رئيس وزراء سوريا كان ينام هناك.

وُلِد سعد الله الجابري في حلب عام ١٨٩٤ لعائلة عريقة ثقافياً ودينياً واجتماعياً واشتهرت بالوطنية والثراء، فوالده عبد القادر وجده مراد ووالد جده مصطفى جميعهم كانوا قد تولوا منصب (مفتي حلب) على التوالي أيام الحكم العثماني. كان سعد الله الطفل الأصغر بين ثمانية إخوة كانوا أصحاب شأن أيام الحكم العثماني في عملهم داخل دوائر الدولة، ذلك الأمر جعل من الجابري يتلقى الانفتاح الثقافي والعملي السياسي والديني، فبدت عليه مظاهر الوعي المبكر والاهتمام بالشؤون العملية والثقافية، فأطلع على الاتصالات التي كانت عائلته تقوم بها مع رجالات البلد وسياسييها حيث كانت الشخصيات المميزة تجتمع بشكل دوري في منزل الشيخ العلامة عبد الحميد الجابري للتداول في أمور البلاد. نشأ سعد الله في ذلك الوقت ودرس في بداياته داخل مدارس حلب حتى أنهى دراسته الثانوية، عندها استقدمه أخوه إحسان الجابري إلى اسطنبول ليتابع دراسته في الكلية الملكية السلطانية. في تلك الفترة بدأت علاقات الجابري تتسع مع الشباب العربي المثقف هناك، ونتيجة الجهود المتواصلة أسسوا جمعية العربية الفتاة والتي تضمنت في بندها الأساسي «العمل من أجل نيل حقوق العرب» بعد ذلك تم إرسال الجابري إلى ألمانيا ليكمل دراسته هناك لكنه لم يطل أمر بقاءه بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى فعاد إلى اسطنبول وتم تجنيده (كجك ضابط) وعُيّن مراقباً على الأرزاق في أرض الروم حتى نهاية الحرب. بعد انتهاء الحرب وصعود الأمل بالنسبة للسوريين في الاستقلال عاد الجابري إلى حلب واشترك في حركة لحقوق الإنسان، وفي عام ١٩١٩ كان الجابري يعمل مع الشخصيات الوطنية والسياسية على إثر انتشار نيّة الحلفاء بتقسيم البلاد العربية ودخول الفرنسيين إلى سوريا، فكان على اتصال مباشر بإبراهيم هنانو زعيم ثورة الشمال داعماً له ولثورته، وأعاد الجابري إحياء اتصالاته القديمة وبالأخص مع من كانوا يدرسون معه في الكلية السلطانية الذين أسسوا الجمعية الفتاة كشكري القوتلي وغيره، وشارك في المؤتمر السوري العام بين عامي ١٩١٩/١٩٢٠ الذي دعى لوحدة سوريا الطبيعية. أدى عمل الجابري السياسيي والوطني ضد الفرنسيين لاعتقاله أكثر من مرة في سجن أرواد مع هاشم الأتاسي. أثناء تلك الفترة من النضال لم ير الفرنسيون من بديل للإعلان عن استعدادهم لإقامة حكم دستوري في البلاد فكان هنانو والجابري أول شخصين في المجلس التأسيسي، لكنّ الفرنسيين لم يرتاحوا كثيراً لهذا التشكيل بسبب النزعة الوطنية المفرطة لدى الأعضاء فقاموا بإلغاء المجلس وعادت المظاهرات والاحتجاجات فاعتقل الجابري من جديد. بعد الإفراج عنه قام الوطنيون بتشكيل الكتلة الوطنية ووضع ميثاقها فأصبح الأتاسي رئيساً وهنانو والجابري نواباً للرئيس. في عام ١٩٣٣ وإثر المعاهدة التي فرضها الفرنسيون قامت الكتلة الوطنية برفضها فقامت حملة اعتقالات طالت الكثير من رجال السياسة وتم الحكم على الجابري بالسجن مدة ثمانية أشهر. في تلك الفترة اشتدّ الطغيان الفرنسي والملاحقات، وأغلقت مكاتب الكتلة، وتم اعتقال رجال حلب ودمشق، وأضربت جميع المدن السورية، ومرة أخرى تم اعتقال الجابري ونفيه إلى عين ديوار، لكن مرحلة النضال الوطني لم تهدأ ونتيجة اشتداد الاضطرابات قامت فرنسا بدعوة السياسيين والوطنيين وتم الاتفاق على إرسال وفد يمثل السوريين للمفاوضة من اجل معاهدة وكان الجابري في ذلك الوفد وتم خلالها إعلان معاهدة ١٩٣٦ التي أعلن فيها صدور عفو عام عن السوريين. أثناء تشكيل وزارة جميل مردم بيك تم تعيين الجابري في وزارتي الداخلية ثم الخارجية بالتتالي حيث كان الأتاسي رئيساً للجمهورية، لكن سياسة الأتاسي ووزارة مردم بيك لم تكن تناسب فرنسا ومشاريعها، فقاموا بإثارة الفتن والنعرات الطائفية والتي أدّت إلى تعطيل الدستور وإنهاء الحكومة، فاستقال الأتاسي وبدأت حملات الاعتقال والاضطهاد والملاحقة للوطنيين وتم تشكيل حكومة موالية لفرنسا، في تلك الأثناء قامت الحكومة الموالية بالعفو عن قاتل عبد الرحمن الشهبندر بعد تصريحه أن أوامر قتله للدكتور الشهبندر قد تسلمها من أعضاء الكتلة وعلى إثر ذلك هرب الجابري والقوتلي ومردم بك إلى العراق كلاجئين وبرغم تبرئة القضاء لهم إلا أنّ الجابري لم يعد إلى سوريا إلا أثناء دخول البريطانيين بصحبة جيش فرنسا الحرة وبداية إعلان استقلال سوريا.

في تلك الفترة كان الجابري رئيساً للوفد السوري في توقيع بروتوكول الاسكندرية ورئيس وفد اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي والتحضير لإنشاء الجامعة العربية، كان عمله ذلك وتحركاته السياسية السريعة تثير نقمة الفرنسيين عليه وعلى عدد من الوطنيين وبالأخص بعد عام ١٩٤٣ حيث تم انتخاب القوتلي لرئاسة الجمهورية وتسلّم الجابري رئاسة الوزراء وانتهجت سياسة وطنية، فقام الفرنسيون بعدوانهم على المجلس النيابي عام ١٩٤٥ في التاسع والعشرين من أيار، حيث تم القصف بالمدفعية، وعندما علمت القوات الفرنسية بنجاة أعضاء البرلمان تمت ملاحقتهم واعتقل عدد منهما لكن الجابري استطاع الهرب وهو متنكر بزي راهب عن طريق سيارة السفير الروسي في سوريا آنذاك سولود فوصل إلى حيفا في فلسطين وأبرق برسالة إلى لندن ومجلس الأمن حيث تدخلت القيادة البريطانية في فلسطين بأحداث سوريا وعبرت المصفحات الانكليزية إلى دمشق في ١٧ نيسان عام ١٩٤٦ مع جلاء آخر جندي فرنسي من أرض سوريا وتم إعلان الاستقلال في مجلس الأمن عبر فارس الخوري. لقد قادت الكتلة الوطنية سوريا إلى استقلالها النهائي بفضل زعمائها الوطنيين. كانت لحظة استقلال سوريا بالنسبة إلى الجابري هي اللحظة الأكثر أهمية في حياته، وقد شاهدها قبل رحيله. في عام ١٩٤٧ سافر سعد الله إلى القاهرة من أجل حضور مجلس الجامعة العربية المنعقد هناك، لكنه مرض وبقي في الاسكندرية للتداوي من التهاب الكبد الوبائي الذي أُصيب به نتيجة اعتقاله وسجنه

المتكرر، على إثر تلك الحادثة طلب القوتلي رئيس الجمهورية منه الاستقالة فاستقال. عاد الجابري إلى حلب ومكث فيها بضعة أشهر وهو مريض في منزله العتيق بشارع القوتلي ومات في حزيران عام ١٩٤٧ بعد أن رأى لحظة استقلال بلاده التي عاش لأجلها.

عند وفاته جرت له جنازة قلّ مثيلها في تاريخ سوريا بالنسبة لرجل سياسة، فقد كان في التشييع رئيس الجمهورية والوزراء والنواب وممثلو رؤساء الدول العربية وبعثات ملكية تمثّل الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود بالإضافة لجماهير الشعب السوري في شوارع حلب، ودُفِن حينها في مقبرة المشارقة وسط حلب التي لم تبّق منها اليوم سوى القبور الثلاثة، قبر سعد الله الجابري وقبر الزعيم الوطني إبراهيم هنانو وقبر الجندي المجهول، بعد أن قام النظام الأسدي بمسح المنطقة القديمة وهدم المقبرة لبناء الجامع الذي سُميّ فيما بعد باسم جامع الرئيس بعد أحداث الإخوان في سوريا في الثمانينات. وحتى اليوم ما تزال القبور لأشد الرجال وطنية حاضرة وصامدة في وجه الطغيان. مات الجابري فقيراً بعد أن كرّس كل أمواله لدعم النضال الوطني الثوري ودعم الكتلة الوطنية دون أن يُخلّف لأحد مالاً أو أولاداً ليرثوه، فلم يتزوج سعد الله نتيجة انغماسه في صلب العمل السياسي والوطني.

وبعد عدة أعوام من وفاته أطلق الشعب السوري اسم الجابري على تلك الساحة القديمة ليبقى رمزاً لا يُنسى في تاريخ سوريا، وعندما استلم حافظ الأسد عام ١٩٧٠ زمام الأمور، وضمن سياساته الخاصة بتغيير المعالم الثقافة وأسمائها ليكون له حضور في أي مكان عام، لم يكن بمقدوره تغيير اسم الساحة لأهمية تلك الشخصية الوطنية وحب الناس لها رغم مرور أكثر من ثلاثين عاماً على رحيله، فلم يكن له سوى أن أطلق اسم (ساحة الرئيس) على ساحة مجاورة لساحة سعد الله الجابري، مُقدّماً فيها خدمات التشجير والإضاءة والنوافير وسارية علم ضخمة وتمثال لشخص الأسد، تاركاً ساحة الجابري عبارة عن أرض ممتدة بها بعض المقاعد الحجرية العتيقة ونصب تذكاري للشهداء، قبل أن يأتي بشار الأسد ويحاول أن يعيد لساحة سعد الله ألقها ضمن خطة إحياء التراث والثقافة، فقام ببعض التحسينات بها وثُبّت علم سوريا على طرفها بسارية ضخمة وبحيرة فيها.

ورغم الاختلاف الجمالي والخدمي بين الساحتين في أيام حافظ الأسد وبعده، بقيت ساحة الجابري هي المعلم الأكثر حضوراً بين الناس وفي الذاكرة الشعبية والوطنية التاريخية. إنها نقطة العلام للقاء مختلف الأطياف في حلب.

إنّ تلك الساحة بطريقة ما ليست شاهداً فقط على اسم رجل مرّ في التاريخ بل تختزل تاريخاً وطنياً وثقافياً لن يزول، تماماً كما هو اسم صاحبها الأكثر وطنية وحضوراً في الذاكرة الشعبية.. إنه مهندس الاستقلال سعد الله الجابري.

خالد علوش

نقش في البورتريه

قصص عن سعدالله الجابري

١/ أخلاق رجل أم رجل أخلاق؟

يروي الاستاذ نصوح بابيل عن احداث ١٩٣٣: أخذت الوفود الشعبية تؤم منازل أركان الكتلة الوطنية معربة عن تهانيها برفض المعاهدة وانتصار إرادة الشعب.

ونشطت الصحف، وزار السيد نصوح بابيل الزعيم هنانو لأخذ حديث منه تنشره الأيام. وفجأة دخل عليهما سعد الله الجابري، لزيارة الزعيم كعادته في كل يوم؛ ووقف يستمع إلى ما يقول الزعيم لنصوح بابيل، حتى إذا وجد في كلامه عبارة أو عبارات تحتاج في رأيه إلى بعض التغيير أو التعديل، بادر بالقول: «الأفضل يا حضرة الزعيم أن تكون هذه الجملة بشكل آخر، هو كذا وكذا»؛ وتكررت ملاحظات الجابري وضاق بها الزعيم وقال: «سعد الله... كفى... كفى... لن أسمح لأي مخلوق في الدنيا أن يفرض عليّ رأيه».

يقول نصوح بابيل وساورني الخوف من أن يرد سعد الله على الصيحة بمثلها وبأقل منها لكن صفاء مقصد سعد الله واحترامه لزعيمه وقوة انضباطيته، وتطلعه إلى الهدف الأسمى، الذي يسمو فوق كل خلاف؛ صغيراً كان أم كبيراً، كل ذلك أبى عليه إلا أن يخاطب هنانو بلهجة هادئة محببة: « زعيمنا... حبيبنا... والله ما قصدت إزعاجك... فليكن ما تريد.. ولن يكون إلا ما تريد... أرجو أن تتابع حديثك وإني ذاهب إلى صلاة العصر». وغادر الغرفة مبتسماً إلى غرفة مجاورة حيث أدى الصلاة. كان كلام سعد الله برداً وسلاماً على إبراهيم، فقد انفرجت أسارير وجهه وافترت شفتاه عن ابتسامة صادقة، وقال: «سعد الله حبيبي، يا سعادة من كان سعد الله أخاه وصديقه». وعاد سعد الله من صلاته كما عاد حديثه مع الزعيم على طبيعته وصفائه كأن شيئاً لم يحدث.

ودعت الرجلين وانصرفت وأنا أردد في طريقي: «يا لها من انضباطية مثالية، بل يا لها من صورة رائعة عن أخلاق رجل أو عن رجل أخلاق».

الصحفي نصوح بابيل

٢/ هكذا كان رجال ذلك الزمن

على ذكر سعد الله الجابري أذكر من حياته مالا يعرفه القراء لأن التاريخ لن يكتبه .

١ ـ ينتمي سعد الله الجابري لأسرة غنية ذات حضور ، وكان ينفق من ماله في العمل السياسي الوطني . وحين أصبح رئيسا للوزراء كان يسكن في فندق أوريان بالاس. فهو عزب. ويجد في الفندق ما يحتاجه من خدمات. كان ينزل على حسابه وهو رئيس للوزراء وليس على حساب الدولة ويحاسب الفندق أخوه فاخر الجابري كبير الأسرة والمسؤول المادي عنها.

في آخر كل شهر كان يتقاضى مرتبه رئيسا للوزراء فيوزعه على الموظفين بدءا من الآذن ولا يحتفظ منه بشيء. وقد اتفق أن زار المملكة العربية السعودية في عمل رسمي وهو رئيس الوزراء.

فوجئ قبل السفر بمبلغ كبير من الليرات الذهبية يقدمها له الشيخ يوسف ياسين مستشار الملك هدية من الملك عبد العزيز وهي عادة قديمة استمرت لزمن وأظن أنها ما زالت. اعتذر الجابري فقال له الشيخ يوسف ولكن هدية الملك لا ترد. أخذ منها الجابري عشرة ليرات ذهبية وقال للشيخ يوسف لقد قبلناها رمزاً. وحين عاد لدمشق طلب بعض موظفي مكتبه ووزعها عليهم وقال لهم هذه هدية من الملك عبد العزيز. وكانت الليرة الأخيرة من نصيب الصديق أحمد عسة رحمه الله وهو الذي رواها.

الصحفي نهاد الغادري.

٣/ ضحوا بأنفسهم لأجل وطن

أحد النواب في المجلس النيابي هاجم سعدالله الجابري وهو رئيس للوزراء هجوماً عنيفاً لأمر تافه، اتخذه ذريعة لحملته الظالمة. أخذ الجابري يستمع بهدوء وابتسام فلما تجاوز النائب حدود المنطق والعقل واتهمه بوطنيته وقف الجابري منتفضاً جريحاً وطلب من النائب الاعتذار فلما رفض انسحب سعدالله من الجلسة وغادر إلى فندق أوريان بالاس حيث إقامته.

وقد لحقته بعد الجلسة فوجدته في صالون الفندق وهو يضحك فسألته عن رأيه بما حدث؟ قال سعد الله: من حق النائب أن يقول ما يشاء وينتقد كما يشاء ولكن الأمر زاد عن المعقول وصارت الاتهامات تطلق جزافاً ودون منطق أو حجة أو دليل وهذا لا يجوز، سأخصك يا بني بخبر تنفرد به دون سائر الصحف إنني قررت الاستقالة وسأرفع إلى فخامة الرئيس صباح غد استقالة حكومتي. وها أنا اخرج من الحكم ولا أملك من الدنيا شيء فلا مال ولا زوجة ولا ولد وأكاد أخسر صحتي .

الصحفي عدنان الملوحي

تراجيديا المثقف

عندما أشاهد أحداً منكفئاً على ذاته فإني لا أسأله، لِم تعيش هذا الانعزال! بل ربما ابتسم مما يثير حفيظة ذلك المنعزل ويبدأ سيل الاتهامات باللا إنسانية التي تحملها ثنايا تلك الابتسامة.

بالطبع عدم السؤال والابتسام أحياناً ليس لعدم الرغبة بالتواصل الإنساني أو السخرية من الألم البشري (هذا إذا اعتبرنا أن التراجيديا التمثيلية هي ألم) بل لعدم رغبتي بالإصغاء إلى الموشح الوجودي المتشابه بين البشر أو تكرير العبارات التراجيدية ذاتها المنتشرة في أصقاع الأرض والتي أعاني منها بشكل شخصي، مع فارق بسيط وهو أن معاناتي منها صامتة، بل حتى أن تلك المعاناة قد تطورت لتصبح قادرةً على تعديل نفسها للدرجة التي تتحول فيها إلى كوميديا في عمق التراجيديات اليومية المُغرقة بعاطفيتها.

ذلك الانعزال المثير للشفقة أكثر منه مثيراً للتعاطف الإنساني.

بشكل طبيعي - على اعتبار أننا كائنات بشرية تخضع لمعيار الأرق والإنهاك - فإني أستطيع استيعاب الضيق البشري في مجمل ظروف الحياة القاسية وأدرك أهمية النزعة الذاتية للتفرد الشخصي وأتقبّله، لكن ما لا قدرة لي على احتماله هو تغليف تلك النزعة بالهالة الثقافية الجوفاء والترويجية الغبية.

المحاولة الدائمة لتقديم الذات بصورتها الاغترابية، بآلام التضحية البروموثيسية، بالمعاناة الشكسبيرية. إنها الصورة العاطفية الغبية في تقليد وصناعة التراجيديا دون البحث فيها والخوض في تفاصيلها.. على الأقل بمستواها العقلي إذا لم تكن بمستواها التجريبي الصادق.

عندما سافر دويستوفسكي وهو في قمة مجده الأدبي إلى فيسبادن من أجل ملاحقة المراهقة بولين سوسلوفا وطلبت منه ألف مارك لتتمكن من السفر إلى باريس، ذهب وقامر بكل ما معه من مال ليؤمّن لها الألف مارك مع علمه المسبق أنها ستتركه! أدرك حينها تجربة التراجيديا العاطفية التي كان يعانيها، والتي دفعته لأن يستدين الفي روبل من دار النشر كي يستطيع الاستمرار بحياته، والتي تمّ استغلاله فيما بعد من خلالها فكتب إحدى أهم روائعه بعد تلك التجربة خلال خمسة وعشرين يوماً وهي المقامر.

وعندما يُطحن كافكا لعشرين عاماً في الاغتراب النفسي داخل دوامة من الروتين ودون فعل شيء مثير فإنه سيصل ليخلق للعالم حشرته المثالية.

وعندما تنتهي من قراءة أي عمل لبيكيت وتشعر تلقائياً أنه يخاطبك في مجمل مؤلفاته بعبارة دائمة «أنت على الأرض لا حلّ لذلك» ستدرك الإحباط الوجودي والاكتشاف المميز لحقيقة العالم.

كل تلك التجارب الشخصية والتي تحولت إلى هواجس وغيرها ملايين أخرى استطاعت أن تكسر قيود الواقعية لتتحول إلى اغتراب تخيلي إبداعي وتنطلق لتعريف العالم من جديد.

يمكن لي أن أفهم الاغتراب والمعاناة والتراجيديا في أي حالة مشابهة لكني لا أستطيع فهم تلك الصفات لدى شخوص ينكفئون ويقدمون ذواتهم على أنها جريحة ومأساوية وأن العالم لا يستطيع فهمهم (داخل غلاف ثقافي للترويج الشخصي) وفي نهاية المطاف يقدمون فنونهم وهم يتأملون الغروب أو أسراب الطيور بنظرات وجودية بلهاء ثم يُصدّرون تفاهاتهم الرومانسية والعاطفية البليدة نحو العالم.

ذلك التمثيل المقيت والمثير للشفقة، السعي الدائم للرثاء والبكائيات والتقبل النفسي الغريب لتلك الحالة المتمثلة بـ - كلما ازدت حزناً وألماً ازدادت القناعة بأنك أكثر إنسانية وأكثر حساسية وتأمّل ونوستالجية وعاطفية واغتراب. ذلك الفهم المؤطر والضيق للمعنى النفسي أن تكون مثقفاً.

فالمسألة هنا ترتبط بالتصديق الذاتي الواهم للمعاناة العامة دون الخوض في غمارها التفصيلية لإدراك ماهية العالم والبشر الذين تتعامل معهم وارتداداتهم النفسية وفهم التجارب والبحث المستمر عن المعرفة والأهم عدم إيقاف العقل عن التفكير حتى وإن كان تفكيراً دون جدوى بمعناه الإنتاجي.

الإيمان القطعي للمثقف الحالي بأن التراجيديا الروحية تخلق من الشخص مثقفاً دون جهد، إنها تمثيلية البحث والركض وراء المواقف الدرامية التي ستجعل الشخص يعيش فهمه الخاص عن الثقافة. بعد ذلك يأتي الانعزال كتتويج درامي لتلك الارتدادات النفسية والإيمان العميق بصحة وجودها في الذات الداخلية.

شخصياً لم أكن في يوم من الأيام ضد النزعة الإنسانية في التفرد والانعزال لِم يحمله ذلك التفرّد الانعزالي من قدرة على صناعة خيال متين يؤدي ليس فقط إلى الإبداع بل إلى تشكيل عوالم شخصية مُتخيّلة وممتعة في الدرجة الأولى.

بل حتى يمكن أن اعتبر نفسي أحد القلائل الذي يدعو لفكرة الانعزال الذاتي عن المجتمع والسعي للفردانية بالحياة الخاصة واعتبار الفرد هو القيمة المثلى. الفردانية بصورتها الكونية.

على أقلّ تقدير وبالمستوى الشخصي أرى أنّ الانعزال هو القيمة الوحيدة التي تجعل الشخص قادراً على التفكير بعمق في تفاصيل الحياة حتى وإن لم تؤدي إلى نتيجة. فالتفكير التأملي بحد ذاته يحمل متعته الخالصة بعيداً عن أي منجز أو سعي للتطوير.

وقد يصل بي الأمر لمرحلة الدفاع المستميت عن ذلك المزاج الإنساني لعدم الرغبة بالتواصل مع جزء من المجتمع، لكن كل ذلك مشروط بعنصر أساسي ومبدأ لا يمكن للإنسان أن يحيد عنه وهو أن السعي للانعزال يرتبط في الدرجة الأولى بالمزاج الفردي وليس بالتوهم وتصديق التراجيديا المُختلقة، دون إيجاد مبررات وجودية بلهاء كالتي يحاول المثقفون المعاصرون إيجادها لخلق تراجيديات إغريقية في عصر لا يكترث لأي نوع من تلك التراجيديات.. حالة النزوع العاطفي المقيت.

أي شخص بالمستوى الإنساني التجريدي يملك الحق بالانعزال في صمت لكن ألا يمكن ممارسة ذلك الانعزال بعيداً عن التوصيف الثقافي الجاهز للمعاناة..

مثلاً أن تنعزل بصمت وأنت تغني أثناء تحضير القهوة أو تتحدث بواسطة تكنولوجية مع صديق بحوار سخيف وبذيء ومضحك ومليء بالشتائم وأنت تصنع طعامك دون الشعور بالمأساة الوجودية أو ترقص على موسيقى السالسا رغم عدم معرفتك بقواعدها أو أن تمتعض على الطريقة الدرويشية (لا شيء يعجبني) بفرح!

وفي النهاية تستطيع أن تُفرّغ جزءً صغيراً من يومك للتأملات الوجودية والنزوع التراجيدي للكيانات البشرية العدمية في آخر الليل، فذلك بطبيعة الحال حقك البشري لكن أن يتحول يومك بأكمله وأسلوب حياتك إلى لحظات من البناءات الدرامية والنوستالجيا الأبدية والاغتراب الذاتي والتراجيديا القلقة اتجاه الواقع من أجل السعي للمشابهات الثقافية التاريخية دون تجريبها بشكل عميق فذلك بالتأكيد هو المرض الذي يُغرق الإنسان ويحيل دون صعوده.

لا أحد يستطيع نكران الإحساس الطبيعي بالاغتراب والحنين نتيجة ظروف الحياة

لكن أليس بمقدورنا أن نجعل من تلك الأبعاد التراجيدية فعلاً كوميدياً؟ فأن تعيش الحالة من مبدأ التجريب للاكتشاف فذلك أمر مقبول لكن الاستمرار والإيمان أن اغترابك النفسي هو لفعل قطيعة مع الواقع فذلك أصبح في دائرة المرض النفسي البحت لأنّ الواقع يمكن التعامل معه من باب الحضور الغبي ويمكن للنفس أن تخلق فيه أشكال من التهكّم والضحك المستمر الذاتي.

إنّ إيجاد التبرير العقلي للتراجيديا المصطنعة لكل فعل وإضفاء الطابع الرومانسي على المأساة، يُدخِلنا في متاهة لا تنتهي من الانغلاق وعدم الإنجاز، لأنّ تلك التراجيديا ببساطة والإحساس بالاغتراب غير صادقين بمعناهما التجريبي.

وعندما نتحدث عن التجريب كحالة هنا فإننا نقصد بالضبط الطبيعة الإنسانية بكل وعيها وانحطاطها وأخلاقها وكوارثها وشرّها وخيرها، إنها مبدأ الاندفاع للتعلم من كل شيء والوقوع في خطأ كل شيء، صناعة ثقافية ذاتية على المستوى النظري وعلى المستوى السلوكي، وليس تمثيل درامي فاشل من أجل اكتساب بعض التعاطف أو حظوة الوهم الثقافي.

بعودة للمثال الأول والسؤال لِم تعيش هذا الانعزال! قلائل من يُجيبون بطريقة تدلل على ذكاء وفكاهة عالية وإدراك لحقيقة التراجيديا التي يعيشونها والتي يأتي الجواب فيها مقتضباً.. مثلاً «ليس من شأنك» أو في أقصى حل متطرف «حيونة» إنها كلمة مختصرة وكفى الله المؤمنين شر القتال.

لكن الرغبة النفسية بتقديم التراجيديا لن تتوقف بذلك الاختصار، لأنّ (ليس من شأنك) لا توحي أبداً بالانطباع الثقافي الذي يرغب المثقف إيصاله. إنه مضطر أن يسرد على إصغائك سيل الأزمة الإنسانية للعالم.

إنه من المضحك حقاً عندما تشاهد شخصاً يبدأ بقائمة من الألم اللساني حول الشعور المرير بالمأساة، التبرير الوجودي للقيمة المهدورة، المعاناة التراجيدية للظروف الاجتماعية، الواقع السياسي، الخ.

مع العلم أن الإدراك البشري قائم أساساً على المعرفة المسبقة بكل تلك الحالات المزرية.

إنّ المثقف المعاصر يعيش كل تلك الحالات النفسية الدرامية لأنه يفتقد بطريقة ما إلى الأصالة والجوهر.

إنّ منحاه نحو التراجيديا لأنها تحمل المعيار الإنساني العاطفي ويغلّفه ثقافياً، لكنه غير مدرك أنّ الإنسانية تختلف كلياً عن مفهوم الثقافة، لأنّ الأخيرة بطريقة أو بأخرى هي حيادية في تعاطيها مع الوجود البشري لذلك فإنها لا تتمثل عاطفياً وإن عملت في جوهرها كدفاع عن الحق الإنساني، لكن التراجيديا (بصيغتها الإنسانية التمثيلية ثقافياً) هي الذهاب إلى أقصى حد متطرف في الوعي فهي تشاهده من الخارج لكنها لا تستطيع العيش به داخلياً. وعلى هذا لا يمكن للمثقف الحقيقي أن يعي مأساته ويصورها درامياً في الواقع لأنه يعيش في تفاصيلها الإبداعية فلا يستطيع رؤيتها من الخارج.

عندما تكون مثقفاً حقيقياً فلست مضطراً لصناعة التراجيديا لأنك ببساطة تعيش في عمقها دون إدراكها، تعيش الاغتراب والنوستالجيا والعاطفة في عمق التفاصيل التي تصبح هاجساً من الإبداع المُنجز.

إعداد المحرر الثقافي

جريمة في رام الله.. وتفاصيل المنع.

بات من نافلة القول الحديث عن مقومات الشهرة السريعة لأي عمل أدبي في العالم العربي، يكفي أن يمسّ العمل جانباً دينياً أو سياسياً بشكل فج ليكون للرواية الشهرة اللازمة، ولا ريب أنّ للبورنوغرافيا أثر كبير في دفع الرواية إلى قائمة الشهرة.

مؤخراً أثير الكثير من اللغط حول رواية «جريمة في رام الله» لكاتبها الفلسطيني عبّاد يحيى، والصادرة عن منشورات المتوسط، وربّما تسبب منعها في دفعها للمقدمة ضمن الحديث العام، والشهرة، وقد قيل إنّها منعت بسبب ما تحتويه من مشاهد جنسيّة صادمة، ومفردات فجّة، فهل هذا هو السبب الرئيس لمنعها؟!

تتحدث الرواية عن ثلاثة من الشبان هم نور ورؤوف ووسام، والصبية التي كان مقتلها نقطة التحول في مصائر الشخصيات الثلاث..

القسم الأول من الرواية يتحدث عن رؤوف وهو شاب ريفي يعيش في رام الله للدراسة، وهو من أسرة تنتمي إلى فتح سياسياً وحيث يتم شكل وراثي تناقل الانتماء السياسي، يعيش الشاب حياة عادية حتى يلتقي مصادفة بفتاة في إحدى وسائل النقل فيعشقها، وتنقلب حياته رأساً على عقب وتصبح «دنيا» محور حياته، إذ يفعل كل ما يفعله من أجلها إلى أن يتوقف فجأة عن السعي نحو خيالها، ويعود لحياته العادية بكل صخب التفلّت..

يعود رؤوف للحضور كشخصية محورية في القسم الثاني من الرواية في حكاية نور الشاب الريفي الذي أحبّ جسده، وبدأت ميوله المثلية تظهر في كل تصرفاته..

ينتمي نور لأسرة متدينة وتنتمي سياسياً إلى حركة حماس، ليكون نور الشخصية الناقدة الساخرة من كل ما حوله..

في الجامعة يلتقي برؤوف وتبدأ بينهما علاقة حميمة تستمر لفترة حتى يغيب رؤوف عن نور تماماً، إذ كان خلال فترة العلاقة يعيد تشكيل شخصية نور، ويؤثر فيه لتغدو حياة نور بلا معنى في ظل غياب رؤوف..

أمّا وسام فهو شاب عاشق لفتاة منفصلة عن أسرتها يلتقي بها كل يوم في أحد الملاهي، حيث يعمل نور ورؤوف سابقاً..

نقطة التحول لكل هذه الشخصيات تكون مع وقوع جريمة القتل لتلك الفتاة «صديقة وسام» من شخص مجهول، بعد أن خرجت مع وسام من النادي..

رؤوف يغير حياته تغييراً جذريّاً بعد قراءة خبر الجريمة أمام الملهى الذي كان يعمل فيه، وبعد كل ما مر من حياته من تفلت وجنون وبحث عن خيال لا يعرف الوصول إليه ينضم إلى تنظيم مسلح مقاوم ويصبح مطلوباً من سلطات الاحتلال.

نور يتم اتهامه بجريمة القتل تلك ويحبس لفترة ويتهم بأبشع الصفات بسبب ميوله المثلية حتى يفرج عنه، ويقرر السفر إلى باريس مع صديقه الفرنسي الذي ينتج فيلماً عن عشيق فلسطيني تركه حبيبه!

أمّا وسام وبعد صدمة غياب حبيبته بجريمة قتل وعدم قدرته على تقديم أي مساعدة لها أو حتى التعرف إلى القاتل.. ينزوي ويلجأ للطبيب النفسي ولكنه أخيراً ينتحر..

ملاحظات حول الرواية:

- الرواية خاضت بشكل واضح في الثالوث المقدس «الدين - الجنس - السياسة» ولكن بشكل متكلف غالباً خصوصاً في نقد الدين..

- عالجت الرواية العالم الداخلي للشباب الفلسطيني/العربي بكل تجليات النكران والتمرد والانفصال عن سلطة الأسرة..

المشكلات العميقة لجيل ما بعد الانتفاضة الثانية تلك التي لا يغدو فيها الاحتلال البطل الرئيس

- كعادة الروايات الفلسطينية - بل للشباب حياة أخرى بعيداً عن تفصيلات المقاومة.

- الرواية نقدت بشكل ساخر كل الرموز السياسية بشكل متفاوت في جرأته من شخصية «أبو عمار» حتى حماس وقياداتها..

إلى التنظيمات المسلحة وما تخفيه.. إلى السلطة وما تحتزنه من خونة» وأكاد أجزم بأن هذا هو سبب المنع الحقيقي»

- ما تم تداوله عن أنّ الرواية فيها خدش للحياء العام مثير للسخرية.. هي رواية عادية..

قد تحتوي على مشاهد مزعجة ومفردات سوقية ولكن ليس لدرجة إثارة الصخب..

- الحديث عن الفئة الجنسية الثالثة لا يعد ترويجاً للمثلية.. الموضوع عرض لواقع لا يمكن بحال من الأحوال العماء أدبياً عنه..

- فنياً كانت بداية الرواية جيدة ومتماسكة، الشخصيات قوية وواضحة واللغة جيدة، ولكن سقطت الرواية في بداية القسم الثاني وباتت باهتة لا روح فيها مجرد سرد ممل وبطيء رغم أن اللغة بقيت جيدة!

- كانت الرواية ستمر مرور الكرام مثلها مثل الكثير من الروايات الأجود منها بكثير ربما..

ولكنها حققت الشهرة التي يريدها الكاتب بسب المنع وباتت الجريمة حديث الجميع كما جاء في وصف الجريمة في الرواية.

- بالنسبة لتقيمي الأخير للرواية ليست سيئة جداً وليست جيدة أبداً رواية عادية جداً ولا تستحق ما أثير حولها من صخب.

ياسمينة محمد

لويس أراغون
شاعر المقاومة والحب

يعتبر لويس أراغون واحد من أهم الكتاب الفرنسيين وأكثرهم تأثيراً في القرن العشرين، كان روائياً وشاعراً وناقداً فنياً، وعضواً بارزاً في الحزب الشيوعي والمقاومة الفرنسية، وبقي طوال حياته شخصية رئيسية في المشهد الثقافي الفرنسي، وقد عرف بأعماله السريالية إلى جانب اعتباره شاعراً للمقاومة .

وُلِدَ لويس أراغون في ضاحية «نييللي» المتاخمة لباريس، في العام ١٨٩٧، كطفل غير شرعي، وقدمته أمه إلى المجتمع الفرنسي كأخ لها، وليس كإبن، في الوقت الذي رفض فيه أبوه الاعتراف رسمياً بأبوته له. لم يدرك أراغون، الذي عاش عذابات الفقر، وعانى من عوز الحياة، حتى فترة متأخرة من حياته، حقيقة وضعه إلاَّ في سن العشرين. وكانت هذه الواقعة أحد مؤشرات تفسير حياة أراغون الفنية، وروحه المتمردة الرافضة، كما أورثه ذلك كرهاً عميقاً لأسلوب الحياة، والأخلاق البرجوازية المتعفنة، وزرع في نفسه بذور الالتزام.

وكان للتطورات الاجتماعية التي عاشتها فرنسا، وعلاقته الخاصة بزعيم الحركة السوريالية، أندريه بريتون، وانضمامه إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، الأثر الكبير في التزام أراغون التام، وانحيازه في فنه ونضاله إلى جانب الجماهير التي آمن بها، وبقدرتها على الفعل والتغيير، حتى يوم رحيله المشفوع بدموع هذه الجماهير، وحبها وتخليدها للرجل الذي أفنى حياته من أجلها، معبراً عن آمالها وتطلعاتها، مستثيراً فيها بكلماته مكامن التضحية، والفداء، باعثاً فيها أسمى المشاعر الإنسانية.

في العام ١٩٣٣ عمل أراغون محرراً ثقافياً في صحيفة L'Humanité «الأومانيتيه»، الصحيفة المركزية الناطقة باسم الحزب الشيوعي الفرنسي. كما انتخب في ذلك العام عضواً في جمعية الأدباء والفنانين الثوريين، وأدى نشره لقصيدة «الجبهة الحمراء» لملاحقته من قبل السلطات الفرنسية، وحُكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات، بتهمة «إهانة العلم الفرنسي». إلاَّ أن الحكم لم ينفذ.

وبالرغم من الملاحقة المستمرة له من قبل الشرطة الفرنسية، إلاَّ أن أراغون استمر في خوض غمار المعترك السياسي، من خلال موقعه الأدبي، والتزامه جانب القوى المضطهدَة. فقد اشترك في العام ١٩٣٧ في تحرير صحيفة «هذا المساء»، ذات الاتجاه اليساري، التي بلغ معدل توزيعها نصف مليون نسخة، وبعد أن مُنعت هذه الصحيفة من الصدور، في العام ١٩٣٩، غادر أراغون فرنسا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد لجوئه إلى سفارة تشيلي، من جراء ملاحقة السلطات الفرنسية له.

يعتبر لويس أراغون، دون منازع، أشهر شعراء المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني النازي لبلاده أثناء الحرب العالمية الثانية. وبالرغم من أنه كان يقف إلى جانبه شعراء فرنسيون بارزون مثل بول إيلوار، وجان كاسو، وبيير جان، وهنري ميشو، ولويس ماسو، وغيرهم، غير أن هؤلاء ظلوا في الحرب - كما كانوا في السلم - يحملون نبضاتهم الروحية، على أن أراغون نسي نفسه في الصراع، فتكلم عن وطنه المغلوب على أمره، وهو الشاعر الوحيد الذي ترك سجلاً حافلاً بالانفعالات السائدة في زمن الحرب، تلك الانفعالات كانت تستشعر على نمط حقيقي، منذ أول صدمة للتعبئة، حتى فرصة باريس في التحرير.

بعد عودته إلى فرنسا في العام ١٩٣٩، قادماً من الولايات المتحدة، أمرت المخابرات العسكرية الفرنسية بوضعه تحت الرقابة الشديدة. إلاَّ أن أراغون، من جانبه، لبى دون تردد نداء التعبئة، وخدم أثناء الحرب كمساعد طبيب، باعتباره طالباً سابقاً في كلية الطب لم يكمل تدريبه بعد.

في العام ١٩٤٠، وقع أراغون في أسر القوات الألمانية، إلا أنه تمكن من الهرب، ومُنح لقاء ذلك الوسام العسكري، وهو أرفع وسام فرنسي، وعلى أثر ذلك سُرِّح من الجيش، وكان ذلك في أواخر شهر تموز (يوليو) من العام نفسه.

إن جميع القصائد التي كتبها أراغون، في تلك الفترة الحرجة، من تاريخ فرنسا والعالم، كانت صوراً حية، وتعبيراً صادقاً عن هول وبشاعة الحرب الدائرة، وعن المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي. ومن أهم هذه القصائد «بساط الخوف الأعظم»، «أغاني فرنسا المهزومة»، «الزنابق والزهور»، و «ريتشارد قلب الأسد».

وكان لقصائده أثر كبير في نفوس مواطنيه، من خلال إثارتها للشعور الوطني، والثقة بالنفس، للقيام بتحرير وطنهم، وللانتشار الواسع الذي حظيت به هذه القصائد التي كانت تنشر تحت اسم «منشورات منتصف الليل»، لا سيما أن البعض منها تحول إلى أغان تتردد على شفاه الصغار والكبار، وأناشيد تنشد في المعسكرات، لهذا كله طلبت حكومة فيشي العميلة من الصحف والمجلات الفرنسية، في المناطق المحتلة، عدم نشر أية قصائد أو روايات جديدة لأراغون.

وقد جمعت هذه القصائد بعد التحرير، ونشرت في باريس باسم «يقظة فرنسا». وفي معرض حديثه عن هذه القصائد المطولة يقول الشاعر اليوناني الكبير يانيس ريتسوس: «إنها كانت تبين الألم الشامخ الذي وسم هذه الأيام، عندما كان كل شخص تقريباً على أتم استعداد لكي يموت من أجل الآخرين».

التقى أراغون إلزا تريوليه في عام

١٩٢٨ في مقهى في مونبارناس، وتزوجا في عام ١٩٣٩ وبقيا معاً ٤٢ سنة، وإلزا هي كاتبة من أصل روسي تنحدر من عائلة شاعر الثورة الروسية مايكوفسكي، وهي أول امرأة حائزة جائزة "غونكور" الأدبية الرفيعة من فرنسا عام ١٩٤٥ .

وحكاية أراغون وإلزا ليست حكاية عادية إنها نوع من الأساطير التي استطاعت قدرة الحب الخلاقة أن تحولها إلى حقيقة، إنها أسطورة تحدث في عصر ودّع منذ زمنٍ بعيد عهد الأساطير والحكايات الخارقة التي تُحكى في ليالي الشتاء الطوال حول المواقد المتوهجة . وعن حبه الكبير يقول أراغون: «إلزا التي شاركتني الحياة والمستقبل شاركتني الآلام والعذاب.. إلزا التي شاركتني كل ما في الحياة من نبضات.. كانت هي مستقبلي.. وكانت هي شعري.. وكانت هي حروف المعرفة والمستقبل في حياتي».

لا يخفى على أحد أن «إلزا» هي المرأة التي جن بحبها أراغون فكتب عنها عدة مجموعات شعرية، «نشيد إلى إلزا ١٩٤١»، «عيون إلزا ١٩٤٢»، «إلزا ١٩٥٩»، «مجنون إلزا ١٩٦٣»، لكن القليلين هم الذين يعرفون أن إلزا ليست مجرد معشوقة فحسب، إنها رفيقة درب أراغون وحامية هذا الدرب، هي الزوجة والملهمة، بل هي المركز الذي تشع منه أجمل قصائد الشاعر وأرقها .

توفي أراغون عن عمر يناهز ٨٥ عاماً بعد أن برهن للعالم، بما لا يدعو مجالا للشك، كيف يمكن أن يكون الإبداع الفني والأدبي نابضاً بالحياة، مؤثراً وصادقاً في ظل الالتزام اللامحدود بقضايا الإنسان والإنسانية. كان لويس أراغون – على حد تعبير الفيلسوف الفرنسي بيير موروا – «صوتاً عظيماً.. غنَّى للحياة، في لغة بسيطة ومحكمة».

في الثالث والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٨، رحل لويس أراغون، وسار في موكب جنازته المهيب سار أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي، إلى جانب كرادلة وأساقفة الكنيسة الكاثوليكية.

عيون إلزا*

عيناك من شدة عمقهما رأيت فيهما وأنا
أنحني لأشرب
كل الشموس تنعكس
كل اليائسين يلقون فيها بأنفسهم حتى الموت
عيناك من شدة عمقهما.. أني أضعت فيهما
ذاكرتي
...
في ظل الطيور يوجد المحيط المضطرب
ثم فجأة يشرق الطقس الجميل وتتغير عيناك
الصيف يطوق الطبيعة العارية بمئزر
الملائكة
السماء لم تكن أبداً زرقاء كما هي فوق القمح
...
الرياح تذرو بلا طائل أحزان الزرقة
عيناك أكثر صفاء منها عندما تتألق فيهما
دمعة
عيناك تجعل السماء التي تعقب المطر
غيورة
الزجاج لا يكون أبداً أشد زرقة إلا عند
تحطمه
...
أم لسبعة أحزان يا أيتها الضياء المبتلة
سبعة سيوف اخترقت مخروط الألوان
النهار أشد حسرة وهو يبزغ بين الدموع
قوس قزح يثقبه سواد أشد زرقة من أن يكلل
بالحزن
...
عيناك في الحزن تفتحان شقاً مزدوجاً
عن طريقه تقع معجزة الملوك
عندما رأوا ثلاثتهم بقلب خفاق
رداء مريم معلقاً في الحظيرة*
...
فم واحد يكفي في شهر مايو كلمات
لكل الأغاني وكل الحسرات
قليلة جداً رقعة السماوات لملايين الأنجم
كانت تلزمهما عيناك وسحرهما التوأمان
...
الطفل الذي تسيطر عليه الصور الجميلة
يحدق بعينيه باتزان غير كثير
وعندما تحدقين بعينيك لا أدري إذا كنت
تكذبين
كأن المطر الغزير قد فتح أزهاراً برية
أتخفيان بروقاً في هذا العشب العطري
حيث*
تضرم حشرات حبها العنيف
لقد سقطت في شباك النجوم الطائرة
كصياد يموت في البحر في أوج شهر
اغسطس
...
لقد استخرجت هذا الراديوم من طبقات
المعدن
وحرقت أصابعي في هذه النار المحرمة
أيها الفردوس الموجود المفقود مائة مرة
عيناك هما (بيرو) التي لي و (جولكوند)
وجزر الهند
...
حدث ذات مساء جميل أن تهشم الكون
على صخور الشاطئ التي أشعلها القراصنة
أنا قد رأيت تتألق فوق البحر
عينا إلزا عينا إلزا عينا إلزا

* القصيدة من ترجمة: عبد الوهاب البياتي

إعداد المحرر الثقافي

اليابان
وقصة الغرام غير المتوقعة
مع رواية "مئة عام من العزلة"*

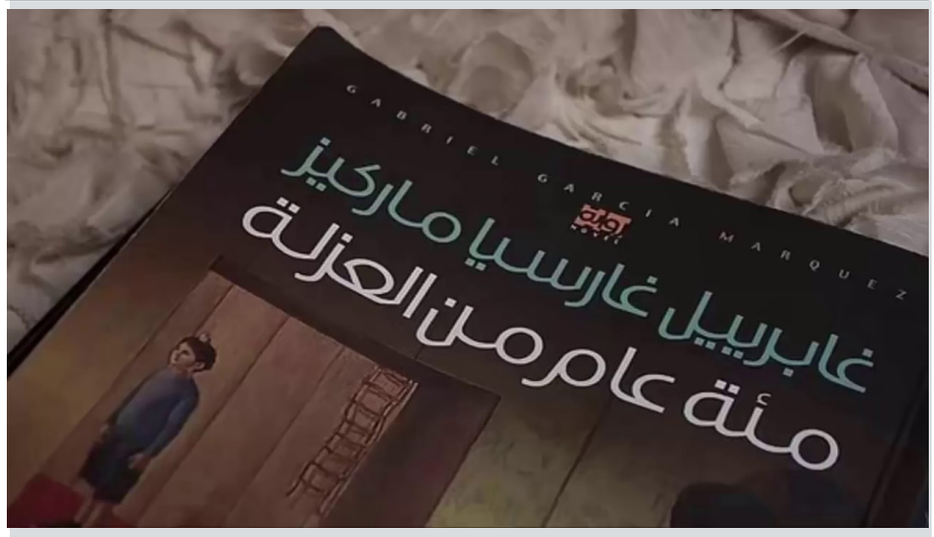

كاتب ياباني آخر له سمعته، ماتسوكي إكيزاوا، يقول إنه لولا ماركيز لما كان قد اهتمّ بالأدب الأمريكي اللاتيني، ولولا رواية «مئة عام من العزلة» لما كان قد كتب روايته «حادث نافيداد: سقوط ماتياس جيلي». تدور أحداث الرواية في جزيرة خيالية في المحيط الهادئ تدعى نافيداد، وهذه الجزيرة، شأن مدينة ماكوندو في «مئة عام من العزلة»، هي عالم قائم بذاته مع قصص مجازية تحاول أن تشرح اليابان الحديثة. ويُعتبر إكيزاوا نفسه مطوّراً لأدب أمريكا اللاتينية في اليابان، وعندما يطلب منه الناشرون اليابانيون انتقاء أعمال من أجل مجموعات من الأدب العالمي، يتربع غارسيا ماركيز أعلى قائمته للكتّاب باللغة الاسبانية. العلاقة الأكثر التباساً وإشكالاً بين مؤلف ياباني و «ماكوندو» ماركيز كانت دون شك علاقة الشاعر والسينمائي والمخرج المسرحي شوجي تيرایاما (١٩٣٥ - ١٩٨٣).

هذا الكاتب التجريبي، الذي عرّج على عدد من الأنواع الأدبية، كيّف «مئة عام من العزلة» لتناسب الشاشة الكبيرة. لكن الشكل الذي قدّمه لم يستطع اقناع ماركيز، وبالتالي لم يسمح له ماركيز باستخدام عنوان الكتاب للإصدار التجاري للفيلم. خضع الفيلم للتغيرات من جديد وعُرض في «مهرجان كان» عام ١٩٨٥ كعمل يطلق بعد موت صاحبه، ويحمل عنوان «وداعاً لسفينة نوح». «ماكوندو» تيرایاما، شأن عالم إيكيزاوا، منصهرة بالثقافة الشعبية اليابانية لأنها تصوّر أوضاعاً «ماركيزية»: اختفاء كل ساعات المدينة، وملحوظات ملصقة على أشياء لتحديد ماهيتها، أو امرأة معاقبة بحزام عفّة له شكل سرطان البحر.

زار ماركيز اليابان في تشرين الأول عام ١٩٩٠ بوصفه ضيفاً على «مؤسسة اليابان» ليفتتح مهرجان الأفلام الأمريكية اللاتينية. عشيّة وصول ماركيز إلى طوكيو تلقيت اتصالاً هاتفياً من تلفزيون اسباني يُعلمني أنه سيلتقي مع المخرج السينمائي الياباني «آكيرا كوروساوا» لوضع اللمسات الأخيرة لفيلم يرتكز على روايته «خريف البطريرك». جرى اللقاء في فندق أوكورا في طوكيو، لكن عندما خرج ماركيز لاحظنا أنا وفريقي أنه كان منفعلاً نتيجة احتساء مشروب ساكي الياباني لدرجة يتعذر معها إجراء مقابلة مصورة، وكان منزعجاً من الإجابة الملتبسة للمخرج الياباني البالغ ثمانين عاماً، الذي قال إنه مسن لدرجة أنه لا يستطيع التصوير في كولومبيا، لكنه متردد في اختيار اليابان لتصوير الفيلم فيها.

نحن الناطقين بالإسبانية الذين حضرنا مهرجان الأفلام الأمريكية اللاتينية في طوكيو ما زلنا نحفظ ذكرى الكلمات التي قالها ماركيز في كلمة الافتتاح. لقد قال: «قبل سنوات بعيدة، عندما كنت شاباً ووسيماً، زرت باريس. هناك شاهدت رجلاً يابانياً للمرة الأولى في حياتي. بدا هذا الياباني غير مهتم بالآخرين ولا يمكن سبر غوره لدرجة أني سألت صديقاً تشيلياً كان بصحبتي: ماذا بحق الجحيم يفعل هذا الرجل بعيداً عن دياره؟ مثلما نفعل نحن. باريس تبعد عن طوكيو ذات المسافة التي تبعدها عن بوينس آيرس، هكذا قال صديقي. في ذلك اليوم تعلمت أن أطول المسافات وأصعبها ليست جغرافية، بل هي ثقافية».

بالرغم من آلاف الأميال والمسافات الثقافية بين كولومبيا واليابان، فقد أصبحت رائعة غابرييل غارسيا ماركيز كنزاً وطنياً بين القرّاء والفنانين اليابانيين.

بالنسبة لأي ياباني مغرم بالكحول ويتمتع باحترام الذات تُعتبر رواية «مئة عام من العزلة» اسماً لمشروب فاخر وغالي الثمن، ومُحضّر وفقاً لوصفة تمتدُّ لقرن من الزمان. إن شئتم يمكن تسمية هذا التقييم انتهازية فردية، بل حتى تجذيفاً، لكن التكرّر المتواصل لهذا العنوان في كل أنحاء بلد يُعتبر ثالث اقتصاد في العالم لهو دليل على احترام اليابان لمؤلف الرواية المذكورة في العنوان، غابرييل غارسيا ماركيز، أول كاتب كولومبي يفوز بجائزة نوبل للآداب.

الطبعة اليابانية للرواية، والتي ترجمها تاداشي تسوزومي، نُشرت للمرة الأولى من قبل دار النشر «شينكوشا» عام ١٩٧٢. بداية، طبع الناشرون ٤٠٠٠ نسخة من الرواية، تلا ذلك ٩٦ طبعة متلاحقة تضم ٢٧٥ ألف نسخة حتى عام ٢٠٠٦. وقد وصف متحدث باسم الناشرين الحصيلة على أنها «فذة»، آخذين بعين الاعتبار الافتقار العام للقراء اليابانيين للحماسة للأدب الأجنبي. بعد أن نال ماركيز جائزة نوبل عام ١٩٨٢ أصبح الكتاب من مقررات كليات الأدب الإسباني، ويمكن العثور عليه في وقتنا هذا في أي مكتبة عامة في اليابان. وهو يحتل مكانه عادة مع الكتب الكلاسيكية، على عكس آخر الاتجاهات الأدبية.

من السهل أن نتبين تأثير «مئة عام من العزلة» على ثقافة اليابانية المعاصرة. فقد وصف كتّاب ومسرحيون ومنتجون سينمائيون بحماس لقائهم بعمل ماركيز الرئيسي، وشبهوه بعيد مسيحي للاحتفال بمناسبة قدوم ثلاث حكماء من الشرق أتوا لزيارة يسوع الرضيع. فقد قال كوبو آبي، الكاتب الشهير، أنّ بالإمكان تقسيم حياته الأدبية إلى «قبل وبعد» قراءة «مئة عام من العزلة». وقال أيضاً في حديث عام ١٩٨٣ أنّ ماركيز أمريكياً لاتينياً بالمعنى الحصري، وأنّ من الأفضل وصف عالمه الأدبي بالمنحى الزمني عوضاً عن المنحى الجغرافي. وقدّم «آبي» علاجه الخاص للجدية «المفرطة» لأبناء بلده. هذا العلاج هو تحفيز الجانب الأيمن من الدماغ بواسطة أكل أطعمة تحتوي على التوابل. من أجل الاستمتاع بعمل ماركيز على اليابانيين وفقاً لكوبو آبي، أن يأكلوا طعام السوشي لأن نكهة نبتة واسابي ستكمل على أتم وجه عمل الكاتب الكولومبي. بعد موته بسنوات، قالت أرملة كوبو آبي أن زوجها قد دخل في مرحلة اكتئاب وفقدان للإلهام بعد أن قرأ كتاب ماركيز. دامت هذه المرحلة حتى عام ١٩٨٢. لم يخرج كوبو آبي من هذه المرحلة إلا بعد ان فاز ماركيز بجازة نوبل، لأنه اعتبر أن الكاتب الكولومبي قد انضم الآن إلى صفوف الخالدين وكفَّ عن أن يكون المنافس المباشر له.

*المقال منشور في صحيفة الاسبكتادور الكولومبية.

غونزالو روبليدو
ترجمة: أحمد محمد صبحيد

في ذكرى التأسيس الأول للهيئة

كلما اقتربنا من شهر آب.. أستعرض الصور والأوراق القديمة التي تحمل في ألوانها وعباراتها تعب وجهد الشباب الرياضي السوري في إصرارهم لرفع الصرح الثوري الرياضي.

في الأول من آب تمر الذكرى الخامسة للتأسيس الأول للهيئة السورية للرياضة والشباب عندما كانت تحت اسم (الاتحاد الرياضي السوري الحر) من داخل أحياء حلب في العام ٢٠١٣، لتنطلق بعد اندماج عدد من الكيانات الرياضية والمحافظات السورية تحت اسم (الهيئة العامة للرياضة والشباب) في آذار ٢٠١٤.

معركة مع الزمن ومع الإمكانيات ومع المسافات والحدود لم تكن بهذه السهولة التي يتوقعها البعض، ولم تكن الظروف ملائمة بالشكل الأمثل للوصول الى بر الأمان كما نشاهد اليوم في الزوايا الإخبارية وفي الصحف والمواقع وعبر الشاشات لمئات النشاطات والمسابقات داخل وخارج سوريا.

ولعدد كبير الرياضيين المؤمنين بالمنظمة الرياضية وبالاتحادات الوطنية وبالأندية واللجان وبكل تفصيل يعيد الحياة للشعب السوري الثائر من خلال الرياضة.

هذا العمل لم يكن (تفضيلا من أحد) أو (حلما لايمكن تحقيقه) ، لقد كان بتصميم من أحب الرياضة السورية ومن آمن بضرورة المحاولة لانتزاع الهوية الرياضة السورية من أيدي نظام الأسد عبر مؤسسته الأمنية والعسكرية (الاتحاد الرياضي العام).

كان الإيمان بعدم وجود أي وصاية عسكرية أو سياسية ووقف كل محاولة لفرض أي وصاية «كما يفعل الائتلاف المعارض» منذ سنة إلى الآن.. كان إيمان الزملاء في قطاعاتهم الرياضية بأن إجرام الأسد لن يدوم وبأن غارات الطيران الوحشية لن توقف الحلم الرياضي.

وكل المحاولات التي تقوم بها الشخصيات «السياسية» في الائتلاف لتمزيق الأسرة الرياضية ستفشل وبكل القرارات ستخرج «بخجل»، ستخرج بخسارة مدوية، لأنها تطاولت على أصحاب الحق والاختصاص، وسلكت الممرات الضيقة بدون أي صيغة تنظيمية او إدارية.

لن يقبل الرياضي السوري الحر بعد اليوم وبعد سنين النضال الرياضي «شكل القيادة القطرية والوصاية السياسية» ولن يسمح لأي شخص مهما كان دوره بأن يفرض رأيه ولجانه «الخلبية « على العمل الرياضي.

وسوف نكرر مع مر الأيام والأعوام «الحلم الرياضي - حلم لا يموت «

وكل عام وأنتم بألف خير

عروة قنواتي

توقيع مذكرة تفاهم في ريف دمشق بين الهيئة والمحافظة

في الخطوة العملية الأولى لاتفاق الشراكة الذي تم الأسبوع الماضي بين مكتب محافظة ريف دمشق والهيئة السورية للرياضة والشباب في ريف دمشق، عقد الطرفان أمس الأربعاء اجتماعاً لدراسة مذكرة التفاهم بين الجهتين.

وقد حضر الاجتماع السيد المهندس مصطفى سقر رئيس مكتب محافظة ريف دمشق والسيد المهندس أغيد عثمان عضو مجلس محافظة ريف دمشق (عضو مشترك بين الجهتين) والسادة رئيس وأعضاء الهيئة السورية للرياضة والشباب في ريف دمشق.

وبدأت الجلسة بكلمة ترحيبية من السيد بلال غبيس رئيس الهيئة تلاها كلمة من السيد محمد القاضي نائب رئيس الهيئة شرح فيها غاية الهيئة من إبرام مذكرة التفاهم، فيما تكفل رئيس قسم الشؤون الإدارية في الهيئة مازن محروس بشرح مفصل لمسيرة انطلاق الهيئة السورية للرياضة والشباب والصعوبات والتحديات التي واجهتها، بالإضافة لذكر أبرز مؤسسي الهيئة وإنجازاتها وطموحاتها.

بدوره تحدث السيد رئيس مكتب المحافظة عن استعداد مكتب المحافظة لتقديم كل ما من شأنه الارتقاء بالمستوى الرياضي في الغوطة الشرقية ، ثم تمت دراسة مذكرة التفاهم من قبل الفريقين وتم الاتفاق على صيغتها النهائية التي سيتم توقيعها الأسبوع الحالي.

وكانت الهيئة الفرعية لريف دمشق قد التقت في الأيام الماضية وضمن سلسلة من اللقاءات والجلسات المشتركة مع مجالس ومنظمات مدنية ثورية في الغوطة الشرقية، أعربت عن أملها في زيادة التنسيق والعمل المشترك بين المؤسسات المدنية الثورية وإطلاع المجالس والمنظمات على سير العملية الرياضية في الغوطة الشرقية تنظيميا وإداريا.

وعقدت الهيئة الفرعية للرياضة والشباب في محافظة ريف دمشق الأسبوع الفائت اجتماعا مشتركاً مع السادة رئيس وأعضاء مجلس محافظة ريف دمشق في مقر المجلس بحضور السيد أكرم طعمة نائب رئيس الحكومة السورية المؤقتة والسيد بسام زيتون رئيس مديرية الخدمات في محافظة ريف دمشق وعدد من أعضاء الاتحادات العاملين في الغوطة الشرقية.

كأس شهداء الحرية بدرعا ينطلق في آب

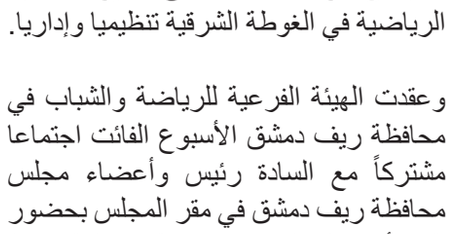

اجتمعت الهيئة الفرعية للرياضة والشباب بدرعا واللجنة الفنية لكرة القدم ولجنة المسابقات ولجنة الحكام مع الأندية الرياضية في المنطقة الغربية يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من تموز ، وجاء الاجتماع لاختيار الملاعب المستضيفة وإجراء قرعة "كأس شهداء الحرية بدرعا".

وتم الاتفاق على تسمية البطولة «كأس شهداء محافظة درعا» إضافة إلى الاتفاق على تقسيم الفرق المشاركة في بطولة الكأس إلى اربع تجمعات (تجمعين في المنطقة الغربية وتجمعين في المنطقة الشرقية) .

وفي حديث مع "سمير الحاري" رئيس اللجنة الفنية لكرة القدم بدرعا قال: «بلغ عدد الأندية في المنطقة الغربية ٢١ نادياً حضروا الاجتماع لاختيار ملاعب تجمعين في المنطقة الغربية، وأضاف "التجمعين هما تجمع "منطقة الجيدور" الذي يضم ثمانِ أندية وتجمع "المنطقة الغربية الوسطى" ويضم ثلاثة عشرة ناديا، وأجريت بعدها قرعة بطولة "كأس شهداء الحرية".

وأشار الحاري أنه تم اختيار ملعب نادي جاسم لاستضافة "تجمع الجيدور" بعد انسحاب نادي نوى من الاستضافة، وتم إجراء تصويت بين ناديي "طفس والمزيريب" من قبل أندية التجمع الأوسط لاختيار النادي المستضيف وفاز نادي "المزيريب" بالاستضافة بنتيجة ثمانية أصوات مقابل أربعة أصوات لنادي طفس. وذكر أيضاً "أن طريقة القرعة جاءت بخروج المغلوب من مباراة واحدة ثم توزيع الفرق على مجموعتين وفي حال تعادل الفرق يحتكم إلى ركلات الترجيح مباشرة».

وفي النهائيات وضّح الحاري أن بطل منطقة الجيدور سيلعب مع بطل المنطقة الغربية، والبطل يلعب مع بطل المنطقة الشرقية على بطولة "كأس شهداء الحرية".

التح والدانا الى دوري الأضواء في إدلب

منافسة لاهبة شهدها الدوري السوري لكرة القدم لأندية الدرجة الثانية – إدلب ولم تتضح كامل الصورة إلا مع صافرة نهاية الجولة الأخيرة.

نادي التح ونادي الدانا في محافظة إدلب يصعدان باتجاه دوري الأضواء فيما هبط نادي اسكندرون ونادي التضامن الى مصاف أندية الدرجة الثالثة بعد منافسات ومباريات استمرت ٣ أشهر في ملاعب محافظة إدلب بالتعاون بين الاتحاد السوري لكرة القدم والبرنامج السوري الإقليمي.

المباراة الختامية والتي تحقق فيها صعود نادي التح الى دوري الأضواء جاءت في مواجهة نادي معرتمصرين وانتهت بفوز التح بنتيجة ٣ – ٢ بعد ان كان متأخرا بهدفين فيما ضمن نادي الدانا تأهله بالفوز على نادي الشهباء بهدف وحيد

الأستاذ محمد وائل جبارة الأمين العام للاتحاد السوري لكرة القدم تحدث عن مسيرة الدوري بقوله: "بمشاركة ١٢ ناديا أنهى دوري أندية الدرجة الثانية مراحله ال١١ ضمن جو أخوي سادته روح المنافسة ..

مباريات قوية والتزام أخلاقي عالي وحضور جماهيري مقبول أضفى على المباريات نكهة خاصة، وحجز الدانا أول مقاعد الكبار قبل النهاية بأسبوع فيما تأخر حجز المقعد الثاني إلى صافرة النهاية بعد مباراة كبيرة جمعت فريق التح الذي قلب خسارته بهدفين إلى فوز مستحق بثلاثة أهداف على معرتمصرين الذي دخل اللقاء والتعادل يكفيه ، فيما قبع التضامن وإسكندرون آخر الترتيب وهبطا سويا إلى دوري الدرجة الثانية.

نبارك للدانا والتح صعودهما ونقول للتضامن وإسكندرون عليكم العمل أكث .

أنس حسين عضو الإتحاد السوري لكرة القدم ورئيس لجنة المسابقات قال أيضا : «عمل كبير ورائع أعاد للثورة ألقها وأظهر صورتها الحقيقة وأثبتت أن الهيئة هي المؤسسة الرياضية الوحيدة القادرة على إدارة دفة الرياضة على الأرض».

وأضاف «الاتحاد سعيد بهذا العمل وهذه المنافسة القوية والدليل لم تحسم بطاقة التأهل حتى صافرة نهاية المسابقة التي جرت بجو أسري رائع. المنافسة كانت قوية والتعاون كان مميز بين الثلاثي (اتحاد ،لجنة فنية وأندية) . نشكر الجميع على تعاونهم ونشكر اللجنة الفنية على جهودها الكبيرة التي بذلت وشكر خاص للهيئة السورية لتأمين كافة مستلزمات البطولة ما أضفى عليها رونق خاص».

ديبو سلطان كابتن فريق نادي التح عبر عن فرحه بالتأهل قائلاً: «المنافسة كانت قوية من جميع الفرق بدون استثناء وكان مستوى الفرق متقارب جدً خصوصا في المراكز الستة الأولى ، لهذا السبب تأخر الحسم للجولة الأخيرة وألف مبروك للمتأهلين، وهاردلك للذين لم يحالفهم الحظ، وإن شاء الله نقدم أداء لافت في الدرجة الأولى لنكون بين الكبار». وأضاف: «الشكر الجزيل لكل من ساهم بإنجاز هذا الدوري الفريد من نوعه. وشكر خاص لكل من الهيئة السورية للرياضة والشباب على تقديم كافة مستلزمات نجاح البطولة وللاتحاد السوري لكرة القدم واللجنة الفنية على جهودهم الكبيرة التي قدموها لنجاح هذه البطولة ونتمنى أن نبقى يداً واحدة ونحن سعداء جداً بكم».

عزام الكردي أمين السر في نادي التح قال أيضا: «المنافسة كانت قوية بين ستة فرق لم يعرف المتأهل الثاني إلا مع صافرة نهاية الدوري. قدمنا جهد كبير لصعود النادي والحمد لله وفقنا بذلك. نشكر الإتحاد السوري لكرة القدم على الجهود الكبيرة التي بذلها على الأرض. وشكر خاص للهيئة السورية للرياضة والشباب على تأمين كافة مستلزمات

وتجهيزات البطولة وظهور الفرق بأبهى حلة».

هيئة حمص الرياضية تطلق أنشطتها التصنيفية

بعد خروج الرياضيين السوريين الأحرار من حي الوعر «مقر الهيئة الفرعية للرياضة والشباب» باتجاه الشمال السوري، أعاد الشباب الرياضي في محافظة حمص هيكلة وانتخاب الهيئة الفرعية لمحافظة حمص في بلدات ومدن الريف.

حيث اجتمعت الهيئة الفرعية للرياضة والشباب في حمص الثلاثاء ٨ _ ٧ _ ٢٠١٧ وجرى مناقشة انطلاقة الدوري التصنيفي وتأمين مصاريف ومستلزمات المباريات، كما تم مناقشة دورة "تنس الطاولة " التي أعد لها المسؤولين عن اللعبة الإعداد المعقول والمقبول بحسب الإمكانيات المتوفرة.

إضافة إلى إصدار بيان أكدت فيه اللجنة على عدم تبعيتها لأي جهة إدارية أو سياسية أو عسكرية باستثناء الهيئة العامة للرياضة والشباب ولها وحدها حق المساءلة والمحاسبة ، وعدم اعترافها بما يسمى "اللجنة الأولمبية السورية" التي أقرها الائتلاف المعارض بشكل غير قانوني وغير مسؤول.

وبعد الاجتماع مع رؤساء الأندية ضمن الهيئة الفرعية تقرر وبالإجماع إقامة دوري تصنيفي على مجموعتين لفرق الرجال المسجلة ضمن قوائم وسجلات الهيئة اعتباراً من ٢٨ الشهر الجاري،

حيث تم تقسيم الأندية جغرافياً إلى ٤ مناطق:

١- "غربية" وتضم فرق مدينة الحولة وماحولها.

٢- "شمالية" وتضم فرق تلبيسة والزعفرانة والمكرمية وهلال حمص وتجمع السعن.

٣- "شرقية" تضم فرق الدمينة وعز الدين ودير فول والرستن وغرناطة.

٤- "جنوبية" وتضم فرق الدار الكبيرة والغنطو وتير معلة وأهلي حمص.

وكان المكتب التنفيذي في الهيئة السورية للرياضة والشباب قد أصدر في الأسبوع الأول من شهر تموز قرارا بتعيين الهيئة الفرعية للرياضة والشباب في حمص وتضم السادة:

١ _ السيد زكريا قيسون رئيس الهيئة الفرعية.

٢ _ السيد أحمد الضاهر نائب رئيس الهيئة الفرعية.

٣ _ السيد عبد الباسط قصاب أمينا للسر.

٤ _ السيد فراس مغربل مسؤول للألعاب الجماعية.

٥ _ السيد محمد المرعي مسؤول الألعاب الفردية.

٦ _ السيد أسامة مطر مسؤول ألعاب القوى.

٧ _ السيد وسام العويد مسؤول الألعاب الخاصة.

٨ _ السيد صبري الخضر مسؤول المنشآت الرياضية.

٩ _ السيد حازم شمسي المسؤول القانوني.

١٠ _ السيد توفيق بكور المسؤول المالي.

١١ _ السيد سامر السليمان المسؤول الإعلامي.

أما فيما يخص خطة عمل النشاطات التي حددتها الهيئة في حمص فقد انطلقت يوم السبت الخامس عشر من شهر تموز البطولة الأولى لتنس الطاولة في حمص وذلك بمشاركة ٦٤ لاعبا موزعين على أحد عشر ناديا، واعتمد المنظمين في البطولة على نظام خروج المغلوب ضمن المسابقة.

وبعد أيام المنافسة الثلاثة جاءت النتائج على الشكل التالي:

المركز الأول "اللاعب ماهر علوان" نادي الرستن.

المركز الثاني "اللاعب محمد منصور "نادي الرستن.

المركز الثالث "اللاعب اسامة مطر" نادي الرستن.

المركز الثالث مكرر "اللاعب محمد طقطق" الدفاع المدني.

كما انطلقت قبل أيام وبحضور اللجنة الفنية لكرة القدم والهيئة الفرعية للرياضة والشباب في حمص ومندوبي الاندية البالغ عددهم ٢٢ ناديا عملية سحب قرعة المجموعات للدوري التصنيفي لكرة القدم في حمص، حيث قسمت الاندية الى مجموعتين.

يتم بعد إنتهاء الدوري تصنيف الفرق الأربعة الأولى من كل مجموعة "درجة أولى "والفرق الأربعة الثانية "درجة ثانية" والبقية إضافة إلى الأندية المنتسبة حديثا "درجة ثالثة" ، وفيما يلي أسماء الفرق في الدوري التصنيفي: المجموعة الأولى.. "الطيبة الغربية – الرستن – المكرمية – تير معلة – الغنطو – الزعفرانة – الفرحانية – الدار الكبيرة – تلدو – غرناطة – تلبيسة" المجموعة الثانية.. "الدمينة – الدفاع المدني – أهلي حمص – كفرلاها – تلذهب – دير فول – طلف – البرج – عقرب – هلال حمص – عز الدين"

الجدير بالذكر أن الهيئة الفرعية في حمص قد تأسست في العام ٢٠١٦ في شهر آذار داخل حي الوعر وانضمت للهيئة السورية للرياضة والشباب في نفس العام وانجز الشباب الرياضي السوري الحر فيها مجموعة من النشاطات والمسابقات الرياضية بمختلف الاختصاصات والاعمار كان أهمها مهرجان الوعر الرياضي الثاني بمشاركة ٩٦٥ رياضي ومدرب واداري من مختلف الفئات العمرية بالتعاون بين الهيئة السورية للرياضة والشباب والبرنامج السوري الإقليمي.

البروتينات ودورها في الغذاء السليم

البروتين مكون كيميائي مركّب من الكربون والهيدروجين والأكسجين والنتروجين، مثل الكربوهيدرات والدهون. تسمى هذه المكونات الأربعة المشتركة الأحماض الأمينية، وهناك إثنان وعشرون حمضاً أمينياً من الممكن أن تتكون معا بأشكال مختلفة لتشكّل البروتين الضروري لبناء جسم الإنسان، فهو المادة الحيوية اللازمة لبناء وتجديد جميع الخلايا الحيوانية والنباتية، وهو المصدر الوحيد الذي يمد الجسم بالآزوت والنيتروجين اللازم لتكوين وتجديد أنسجة الجسم،

تتوفر البروتينات بنسب متفاوتة في كل المصادر الحيوانية، من اللحوم والاسماك والطيور والبيض واللبن ومنتجاته، كما تتوافر في المصادر النباتية، كالفول والحمص والعدس والقمح والشعير والذرة والأرز والفاصوليا والبازلاء والبطاطا واللوز والمكسرات.

للبروتينات دور هام في تغذية الإنسان، فهي تكوّن الجزء الأساسي من خلايا الجسم، كما أنها موجودة في جميع سوائل الجسم ما عدا الصفراء، وتدخل في تركيب الهرمونات والأنزيمات، وتعتبر مصدراً من مصادر الكبريت في الجسم، كما تدخل في تكوين الشعر والأظافر والغضاريف، وهي ضرورية لبناء الأنسجة الجديدة أثناء النمو، وتزداد حاجة الجسم الى المواد البروتينية عند الإصابة بالأمراض الشديدة كالسل والتيفوئيد، كما تحتاج الأم الحامل والمرضع الى كميات كبيرة من المواد البروتينية، وتقوم المواد البروتينية بعملية ضبط الضغط الأسموزي داخل سوائل الدم فتحافظ على ثبات سوائل الجسم.

أهم الوظائف الحيوية للبروتينات

١ ـ تزويد الجسم باحتياجاته من الأحماض الأمينية الأساسية.

٢ ـ بناء أنسجة الجسم والاحتفاظ بها في حالة جيدة، وتعويض المفقود منها أو التالف.

٣ ـ الوقاية من أمراض نقص البروتين كالتأخر في النمو ومرض الاستسقاء.

٤ ـ تدخل في تكوين الهرمون وتساهم في تركيب بروتينات بلازما الدم والهيموجلوبين.

٥ ـ تزويد الجسم ببعض الفيتامينات ومركبات الكبريت وبعض المعادن الأخرى.

٦ ـ تدخل في تركيب الأجسام المضادة التي تزيد من المناعة الطبيعية للجسم.

٧ ـ مد الجسم بالطاقة والحرارة إضافة إلى تخزين الطاقة.

٨ ـ المحافظة على التوازن الحمضي القاعدي في الجسم.

تكون البروتيناتُ الموجودة في اللحوم والمنتجات الحيوانية الأخرى بروتينات كاملة، أي أنَّها تقدِّم جميع الأحماض الأمينية التي لا يستطيع الجسم صنعها بنفسه. أمَّا البروتيناتُ النباتية فهي بروتينات غير كاملة، أي يجب أن تُضاف إليها بروتيناتٌ أخرى كي يحصلَ الجسمُ على جميع الأحماض الأمينية اللازمة له. من المهم أن يحصل الجسمُ على كمِّية كافية من بروتينات الألبان.

كما أنَّ الإنسان في حاجة إلى تناول البروتينات يومياً، لأنَّ أجسامنا لا تخزنها مثلما تخزن الدهون أو الكربوهيدرات. تعتمد كمِّيةُ البروتين التي يحتاج إليها الجسم كلَّ يوم على السنِّ والجنس.

يحتاج الإنسانُ إلى كمِّية أكبر من البروتين عندما يكبر في السن. وكذلك، يحتاج الرجالُ إلى كمِّية أكبر من البروتين ممَّا تحتاج إليه النساء. ولكن بشكل متوسط يحتاج الشخص العادي البالغ من خمسين إلى خمسة وستين غراماً من البروتين كلَّ يوم؛ وهي كمِّيةٌ تعادل ما نحصل عليه من مائة وعشرين غراماً من اللحوم مع كوب من اللبن.

الكلمات المتقاطعة

افقي

١/ رواية لواسيني الأعرج

٢/ مايخطربالقلب من شر(جمع)- مكان وجود المعادن

٣/ مكان معدّ لوضع المحصول- تأوه(معكوسة)

٤/ إفضاء ومكاشفة(معكوسة)-يرتفع(معكوسة)

٥/ لحظِيٌ- راية

٦/ اغتمَّ وجزِعَ- بصق(معكوسة)

٧/ عزمت القيام بشيء-تعليم الدروس مشافهة

٨/ فمستقرّ- حيوان زاحف ضغير

٩/سحق- ثني(معكوسة)

١٠/قلم من قصب- أداة حلاقة

عمودي

١/ مقدّمة برامج أمريكيّة

٢/ رواية لأحلام مستغانمي

٣/ رواية لسليم بركات

٤/ أَوْرَقَ الشّجر- متشابهان

٥/ شجرة دائمة الخضرة- رفض- راعي الكنيسة

٦/ يسأل الرحمة

٧/ إناء لإعداد الشاي- حرف شرط

٨/ صوَّتَ- طائرطويل المنقار

٩/ اتفق- يزيد(معكوسة)

١٠/أداة استفهام- يستخرج

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢						■				
٣					■			■		■
٤						■				
٥				■					■	
٦							■			
٧					■					
٨							■	■		
٩				■	■	■	■			
١٠						■				■

كلمة السر

الحرمل- عنب بلدي- كلنا سوريون- تمدن- سوريتنا- صدى الشام- عين المدينة- زيتون- حبر- اشراق- ربيع الثورة- العهد- برجاف- النبأ- السلام- تين بعل- تين بعل- سبا

كلمة السرمن تسعة أحرف رئيس تحرير جريدة حنطة اغتيل في مدينة غازي عنتاب عام٢٠١٥.

حل العدد السابق

زكريا تامر

س	و	ر	ي	ن	و	ص	ا	ل	س	ا
ا	ش	ر	ا	ق	ن	ر	د	ع	و	م
ة	ر	ا	ل	ث	و	ر	ة	ى	ر	ا
ن	ب	ب	ر	ج	ا	ف	ج	ن	ي	ش
ي	ي	ف	ب	ا	ب	ن	ل	ا	ت	ل
د	ع	ع	ج	ل	ع	ب	ح	ي	ن	ا
م	ل	م	ا	ل	س	ل	ا	ب	ا	ن
ل	ا	ل	ع	ه	د	ت	ي	ن	ر	د
ا	ز	ي	ت	و	ن	ن	ي	ت	ا	م
ع	ن	ب	ب	ل	د	ي	س	ب	ا	ت

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ع	ا	ء	ش	ة	ك	و	ل	ي	ن
٢	ز	ب	ي	ب	■	ي	ه	ت	ش	ي
٣	ي	خ	ر	س	ه	■	ل	ش	ف	ي
٤	ز	س	ل	■	ه	ع	ي	م	ي	ر
٥	ن	ث	ن	ي	ه	م	■	■	ه	■
٦	ي	م	د	ه	■	ر	و	ث	■	ك
٧	س	ن	ا	ب	ش	ا	ت	■	ب	ت
٨	ي	■	■	ه	ي	ن	■	ل	ج	ا
٩	ن	خ	س	■	ب	■	ر	م	ح	ء
١٠	■	■	ر	غ	ا	د	ر	ا	ي	ب

الكلمات المتقاطعة الحل للعدد ٧٨

الصفحة من إعداد نور ح عبدالله

كذب المنجمون

برج الحمل

كريم، متغطرس، لا يخاف ولكنه عديم الصبر، قد يتلقى طعنة في ظهره من أقرب الناس إليه، نصيحة الفلك (لا تدر ظهرك إلا للحائط).

برج الثور

مثير، كاتم للأسرار، غيور وفضولي ومحب للتنكيت، لديه فوبيا الأشياء المقلوبة كأكلة المقلوبة، والقميص المقلوب، والشحاطة المقلوبة، بالإضافة إلى فوبيا مدينة إدلب، نصيحة الفلك: (احذر أقرب المقربين، ولا تهتم لكلام الناس).

برج الجوزاء

متفائل، محب للحرية النظرية، مهمل ومنطوي على نفسه، منجذب للقيادات، ويستشرس في الدفاع عنها، خبر سعيد في الطريق إليك، قد يعرض عليك دور البومة في فيلم سينمائي في هوليوود.

برج السرطان

صبور، متمسك بالتقاليد، ومتشائم كثيراً لم يحصل على نصيبه من الفرح بعد في حياته، نصيحة الفلك: (لا تيأس حاول أن تبتسم فلربما تنجح في يوم ما).

برج الأسد

جاذبية وعنفوان وذكاء وتحمل للمسؤولية ينتهي بخيبة أمل، لا فائدة من كل ما تحاول القيام به، تذكر أنك ميت لا محالة.

برج العذراء

منظمون ومرتبون من ابرز ما يميزهم قطع ورق التواليت من المكان المخصص، موسيقاهم المفضلة: نغمة انتظار الهاتف.

برج الميزان

تبدأون المزاح الثقيل ولا تتحملون نتائجه، نصيحة الفلك لا تدلي زنبيلك ما حدا بيعبيلك، حجر الحظ: حجر الكلى

برج العقرب

مقابلة عمل جديدة تنتهي بنجاح وقبول في الوظيفة بعد كمّيّة الخَرطْ التي خَرطْتَها وصدّقها المدير وصدّقتها أنت وصدقها حتى أبطال القصص التي اخترعتها، واللّهي برافو..

برج القوس

ربّما تكون لعبة كاندي كراش التي أدمنتها فاتحة خير عليك كما كانت لعبة الشيش التي كنت قد أدمنتها في صغرك، فتتعرف على شريكك المنتظر وأنت تفجّر السكاكر، كما تعرفت على حبّ الطفولة بعدما فجّرت دماغه بحجر الشيش.

برج الجدي

تكرّر مقولة «المصاري وسخ الدنيا» وتسعى إلى كنس هذا الوسخ ليلاً نهاراً وحتّى في أحلامك، خفّف من التكنيس، ودع دوراً لمن لا يجد ما يكنسه من متع الدنيا أقصد وسخ الدّنيا..

برج الدلو

أنت دقّة قديمة، ضع أحزانك في دلْوِكَ وأفرغها في البالوعة، وعَش أحزاناً جديدة من الطراز الحديث، عِش اكتئاباً ثنائي القطب، اكتئاباً موسمياً، اكتئاب ما بعد الولادة، اكتئاب ما بعد الطمث، لا فرق ولكن لا تستمع إلى هاني شاكر، رجاءً..

برج الحوت

ينطبق عليك المثل القائل: حبسوه بكيس مع ابليس، طلع منه ابليس يستغيث، الحوت منظّر من الدرجة الأولى، يحرّك العالم بينما هو جالس خلف طاولته، وعنده من النصائح ما يكفي ليستغيث منه جميع الأبالسة.

رحيل الدكتور يوسف إسماعيل

رحل عن دنيانا بصورة مفاجئة الباحث الدكتور يوسف إسماعيل عن عمر يناهز السابعة والخمسين عاماً أمضاها في التعلم والتعليم وممارسة الفعل الثقافي العام.

ولد الدكتور يوسف إسماعيل في بلدة قرقنيا بمحافظة إدلب، وفيها درس جميع المراحل ونال الشهادة الثانوية. من ثانويتها.

لينتقل بعدها إلى محافظة حلب ويدرس في جامعتها، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها وتخرج منها سنة ١٩٨٢. ليتابع تحصيله العلمي ويحصل على دبلوم الدراسات العليا سنة ١٩٨٥، وعكف بعدها على تحضير رسالة الماجستير في الأدب الشعبي حول «سيرة الأميرة ذات الهمة» وحصل عليها بعد سنتين بدرجة جيد جداً.

وبعد حصوله على الماجستير تم إيفاده إلى المملكة المغربية للحصول على الدكتوراه، وحصل عليها هناك بأطروحة حول «البنية الإيقاعية في الشعر المملوكي»، وعاد بعدها على جامعة حلب ليعين استاذاً في الهيئة التدريسية فيها ويدرس الطلاب مادة الأدب المملوكي. كان خلال حياته الجامعية الأولى طالباً نشيطاً ومشاركاً في النشاط الثقافي، وساهم مع مجموعة من الزملاء بتأسيس الملتقى الأدبي لجامعة حلب، وقدم خلاله مجموعة من القصص القصيرة التي لاقت استحسان النقاد، إلى أن عمله البحثي سرقه من الكتابة الإبداعية فتفرغ بشكل كامل للتدريس وكتابة الأبحاث، فأصدر مجموعة من الكتب البحثية الجديدة والتي قدم فيها قراءات مختلفة عما يتم تداوله ضمن الوعي السائد وذلك باستخدامه أدوات بحثية جديدة.

صدر له الكتب التالية: «مشروعية السرد في بيان بيدبا» عن الدار العربية للعلوم، و«البنية التركيبية في الخطاب الشعري» عن اتحاد الكتاب العرب، و«الرؤية الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب» عن اتحاد الكتاب العرب، و« المقامات» عن وزارة الثقافة السورية، و«محكيات السرد العربي» عن اتحاد الكتاب العرب، إضافة إلى مجموعة من الأبحاث العلمية المحكمة التي نشرها في أكثر من دورية تخصصية في العالم العربي.

كما عكف خلال السنوات الخمس الماضية وبعد خروجه من سوريا إلى المغرب في العام ٢٠١٢، على كتابة مجموعة من المقالات الإشكالية حول الوضع السوري حافراً بطريقة علمية مبسطة في أس الكثير من المشاكل المعرفية. رحيل الدكتور يوسف إسماعيل يعتبر خسارة كبيرة لمشروع بحثي ومعرفي رائد اختطفته يد الموت سريعاً.

يوسف إسماعيل.. وداعاً

كان يوم ٢٧ تموز ٢٠١٧ يوماً قاسياً بلا شك، حين استقبلنا صباحنا عبر الفضاء الافتراضي بخبر رحيل الصديق والباحث الدكتور يوسف إسماعيل في مدينة الرباط في المملكة المغربية، التي اختارها أن تكون منفاه بعد أن شردته الحرب عن وطنه سوريا، وعن مدينته حلب التي عشق وأحب.

لم يستطع قلبه النبيل أن يحتمل كل هذا الخراب، لم يحتمل الخيبات، وانكسارات الحلم، لم يحتمل وهو الخبير في تفكيك بنية السرد أن يرى الهباء يستولي على كل شيء، على اللغة، وعلى الإنسان، وعلى القيم، فقرر الرحيل مبكراً.

رحل مبكراً، ولكنه لم يرحل مهزوماً، إذ دأب يوسف على تشريح الوضع في سوريا بسلسلة من المقالات العميقة التي تناقش الموضوع من خلال البنية الثقافية والمعرفية بعيداً عن سهولة الانتماء لطرف دون آخر، وبمعنى أدق بعيداً عن حالة القطيعية التي استلبت الكثير من المنتمين إلى الشأن العام، وعلى وجه الخصوص من كانوا يعتبرون أنفسهم عاملين في الحق الثقافي، كتب في كل التفاصيل الصغيرة منبهاً أن الخراب سيعم ويبسط سيطرته، لو اندفعنا أكثر في فعل الخندقة وشيطنة الآخر المختلف.

ربما الكثير لا يعرف من هو يوسف إسماعيل؟ ولا على ماذا اشتغل هذا الرجل في حياته القصيرة، ربما، فباحث مثله كان يكره الاصطفافات الحزبية والقومية والدينية، ما كان ليجد له رافعة إعلامية تجعله في دائرة الضوء، أو بمعنى أدق: لم يرغب أن يكون نجماً ثقافياً على الطريقة الاستعراضية، بقدر ما اختار أن يكون باحثاً معرفياً يحفر ببطء وعمق في بنية السرد العربي، مفككاً ومحللاً وكاشفاً وقارئاً بأدوات جديدة..

اختار أن يكون معلماً بالمعنى الدقيق للكلمة، فقرر أن يرمي حجر المعرفة في قاعات الجامعة ليحرك دوائر التساؤل عند طلابه، لينقلهم من التعامل العادي مع الأفكار القارة، ويجعلهم يقرؤون بعمق أكثر، ليكتشفوا أن التعلّم ليس فعل تلق للمعلومة وحسب، بل هو فعل يتعدى المعلومة ذاتها للغوص أكثر في دلالتها.

قبل وفاته بأسبوعين فقط، كتب على صفحته الشخصية تساؤلاً يبدو بسيطاً للوهلة الأولى، ولكنك حين تعيد قراءته من جديد تجد أنه قاس حد الفجيعة، قال: «الكثيرون في وطني يحاولون تسلّق رايته، ولكن الناجحين قلّة. الفاشلون في التسلّق يغبطون الناجحين، والناجحون يغارون من الفاشلين خوفاً من منافستهم، حتى وإن كانت فاشلة، ولكن الجامع بين الناجحين والفاشلين، دائما، هو «حب الوطن»، فأيهما يستحق اللعنة؟!» ربما يا صديقي كل منا سيوزع اللعنة على الآخر الذي ليس هو ولا من يمثل، وبالتالي ستصيب اللعنات الجميع!!.

وقبلها بشهر كتب: «أرجو المعذرة من الأصدقاء الذين لا يجدون آثارا لمروري على «توقيعاتهم»، وذلك لأني مللت من الحكمة الفائضة في أغلب ما أقرأ، ومن التمجيد بالانتماء، إن كان دينيا أو وطنيا أو قوميا، فهذا بدهي ومجاني ولا يثير الفضول، ومن الاحتفاء بالخاص فهذا شأن شخصي لا أجد في نفسي الرغبة في الوقوف عليه. ما يلفت انتباهي، ويدفعني للكشف عن مروري هو روحك الفائضة في القول، أو صوتك أنت، صوتك المدوّي في ظل هيمنة المكرر والمجترّ والمطروح على الطرقات بالمجّان»

نعم يا صديقي حيطان هذا الفضاء الافتراضي باتت ثقيلة على قارئ مختلف لم يرضى في يوم بالعادي ولا السائد، كيف لم نكتشف في غمرة الحرب أن العادي بات ينهشنا، كيف لم ترهقنا بلادة اللا دهشة التي نمارسها على الحيطان؟! كيف لم نلحظ أن قارئ سرديات مثلك ما عاد يدهشه هذا الكم من اللغة المسفوحة على الشاشة الزرقاء؟؟ هل كنت تخبرنا أنك ما عدت تحتمل عاديتنا في لحظة غير عادية؟؟ هل كان عليك أن تجترح غياباً غير عادي كي نفكر من جديد بعيداً عن بلادة العادي؟؟

ها قد فعلت يا صديقي

كسرت بلادتنا

وكسرتنا!

حسين برو

كاريكاتير — الفنان موفق قات عن العرب اللندنية

أخبار من العالم

رواية بأربع لغات

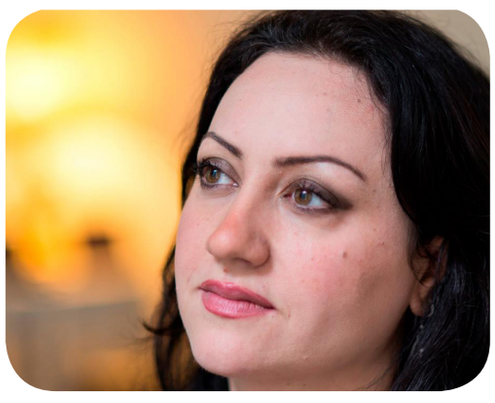

ستصدر قريباً، رواية «باتّجاه مكان لا موت فيه» للكاتبة السوريّة «روزا ياسين حسن» وهي رواية قصيرة، تحكي قصّة ثلاثة فتيان سوريّين فرّقتهم الحرب التي أعقبت الثورة في سورية عن بعضهم.
وكانت دار النشر السويسريّةSJW لكتب الأطفال والفتيان قد أصدرت هذه الرواية بالألمانيّة والفرنسيّة والإيطاليّة قبل أيّام.
وقالت الكاتبة موضحة: « تمّنيت عبر هذه الرواية أن أحكي للفتى الأوروبّيّ بعض ما حدث مع فتيان في مثل عمره في بقعة منكوبة من العالم، اسمها سورية».

«عضّة قط» تودي بحياة امرأة

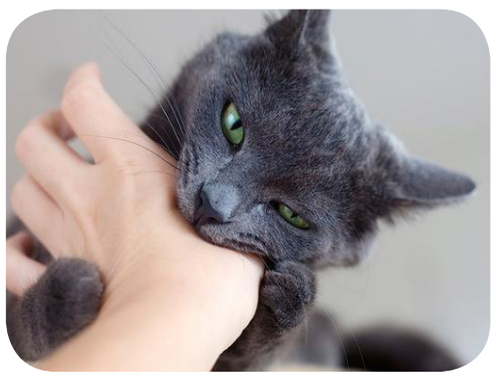

حذّرت دراسة جديدة من احتمال تعرّض الجنس البشريّ إلى الانقراض إذا استمرّت معدّلات تراجع أعداد الحيوانات المنويّة لدى الرجال بنسبتها الحاليّة.
وتوصّل العلماء إلى نتائجهم بناء على مراجعة نحو ٢٠٠ دراسة تقول إنّ أعداد الحيوانات المنويّة عند الرجال في أمريكا الشماليّة وأوروبا وأستراليا ونيوزيلندا تراجعت، على ما يبدو، إلى النصف خلال أقلّ من ٤٠ عاماً.

شراء الوقت وليس السلع المادّيّة

قالت الدكتورة إليزابيث دون، أستاذة الطبّ النفسيّ في جامعة بريتيش كولومبيا بكندا، بعد دراسة ميدانيّة حديثة أجرتها إنّ «الأشخاص الذين ينفقون الأموال ليوفّروا لأنفسهم المزيد من وقت الفراغ لديهم مستويات أعلى من الرضا عن الحياة».
وذكر أشخاص ممن خضعوا للتجربة أنّهم شعروا بسعادة أكبر حينما أنفقوا ٤٠ دولاراً من أجل توفير الوقت، بدلاً من إنفاقها لشراء السلع الماديّة.

نسخة معدّلة من هاتف «غالاكسي نوت ٧»

توفّيت سيّدة يابانيّة بعد عشرة أيّام إثر الحمى الشديدة المصحوبة بنقص صفائح الدم، تسبب بها فيروس ينتقل عبر القرّاد.
وذلك بعد تعرّضها لعضّة قطّ ضالّ، حسبما قالت وزارة الصحّة اليابانيّة، وهو ما قد يكون أوّل انتقال مباشر للمرض من الثدييات للإنسان بهذه الطريقة من نوعه.
و كانت السيّدة الخمسينيّة ، تساعد القطّ، الذي يبدو أنّه كان مريضاً.

رئيس التحرير بسام يوسف | مدير التحرير بشّار فستق | المحرر التنفيذي حسين برو | الاخراج الفني مازن عودة | مستشارة التحرير د.خولة حديد | الصفحة الثقافية فاضل الفاضل | العلاقات العامة نور العبدالله | مكتب درعا سارة الحوراني | الموقع الإلكتروني محمد الشبلي
عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع SNP
لآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي لكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة